﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

من دابّة	: أي حيّ يدبّ على الأرض أي يمشي من إنسان وحيوان.
مستقرها	: أي مكان استقرارها من الأرض.
ومستودعها	: أي مكان استيداعها قبل استقرارها كأصلاب الرجال وأرحام النساء.
في كتاب مبين	: أي اللوح المحفوظ.
في ستة أيام	أي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.
وكان عرشه على الماء	: إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه، والماء على الهواء.
ليبلوكم	: أي ليختبركم ليرى أيكم أحسن عملاً.
إلى أمة معدودة	: أي إلى طائفة من الزمن معدودة.
وحاق بهم	: أي نزل وأحاط بهم.

معنى الآيات:

لما أخبر تعالى في الآية السابقة انه عليم بذات الصدور ذكر في هذه مظاهر علمه وقدرته تقريراً لما تضمنته الآية السابقة فقال عز وجل ﴿وما من دابّة في الأرض﴾[1] من إنسان يمشي على الأرض أو حيوان يمشي عليها زاحفاً أو يمشي على رجلين أو أكثر أو يطير في السماء إلا وقد تكفّل الله برزقها أي بخلقه وإيجاده لها وبتعليمها كيف تطلبه وتحصل عليه، وهو تعالى يعلم كذلك مستقرها أي مكان استقرار تلك الدابة في الأرض، كما يعلم أيضاً مستودعها بعد موتها إلى أن تبعث ليوم القيامة.

وقوله تعالى ﴿كل في كتاب مبين﴾ أي من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها قد دوّن قبل خلقه في كتاب المقادير اللوح المحفوظ، وقوله تعالى في الآية (٧) ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ أي أوجد السموات السبع والأرض وما فيها في ظرف ستة أيام وجائز أن تكون كأيام الدنيا، وجائز أن تكون كالأيام التي عنده وهي ألف سنة لقوله في سورة الحج ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾[2] أي خلق العرش قبل خلق السموات والأرض، والعرش: سرير المُلك ومنه يتم تدبير كل شيء في هذه الحياة، وقوله ﴿على الماء﴾ إذ لم يكن أرض ولا سماء فلم يكن إلا الماء كالهواء. وقوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[3] أي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم، ليختبركم أيكم أطوع له وأحسن عملا أي بإخلاصه لله تعالى وحده وبفعله على نحو ما شرعه الله وبيّنه رسوله.

هذه مظاهر علمه تعالى وقدرته وبها استوجب العبادة وحده دون سواه وبها عُلم أنه لا يخفى عليه من أمر عباده شيء فكيف يحاول الجهلة إخفاء ما في صدورهم وما تقوم به جوارحهم بثني صدورهم واستغشاء ثيابهم. ألا ساء ما يعملون.

وقوله تعالى ﴿ولئن قلتَ﴾ - أي أيها الرسول للمشركين - إنكم مبعوثون من بعد الموت،

---

(١) ﴿وما من دابّة﴾: ما: نافية، ومن: مزيدة لتقوية النفي ليكون أكثر شمولاً، والتقدير: وما دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها أي: تكفّل الله برزقها فضلا منه ومنّة.

(٢) روى البخاري في حديث منه: قوله ﷺ: (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء﴾.

(٣) قال مقاتل: أيكم اتقى لله، وقال ابن عباس رضي الله عنه أيكم أعمل بطاعة الله عزّ وجلّ، وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا ﴿أيكم أحسن عملا﴾ قال: أيّكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله) ولو صحّ هذا الخبر لكان أتمّ وأجمع، وقال الفضيل: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. وهو كما قال.

أي مخلوقون خلقاً جديداً ومبعوثون من قبوركم لمحاسبتكم ومجازاتكم بحسب أعمالكم في هذه الحياة الدنيا ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي عند سماع أخبار الحياة الثانية وما فيها من نعيم مقيم، وعذاب مهين ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الكلام ما هو إلا سحر مبين يريد به صرف الناس عن ملذاتهم، وجمعهم حوله ليترأس عليهم ويخدموه، وهو كلام باطل وظن كاذب وهذا شأن الكافر، وقوله تعالى في الآية (٨) ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾[١] أي ولئن أخرنا أي أرجأنا ما توعدناهم به من عذاب ألى أوقات زمانية معدودة الساعات والأيام والشهور والأعوام ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ أي شيء حبس العذاب يقولون هذا إنكاراً منهم واستخفافاً قال تعالى ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ أي ليس هناك من يصرفه ويدفعه عنهم بحال من الأحوال، ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي ونزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون بقولهم: ما يحبسه!!؟

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق[٢] مخلوقاته من إنسان وحيوان.

٢ـ بيان خلق الأكوان، وعلة الخلق.

٣ـ تقرير مبدأ البعث الآخر بعد تقرير الألوهية لله تعالى.

٤ـ لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ

(١) (إلى أمّة): أي: إلى أجل معدود وحين معلوم، فالأمّة هنا: المدّة، ولفظ الأمة يطلق على معانٍ منها: الجماعة، وسميت مجموعة السنين أمّة لاجتماعها. والأمّة: أتباع أحد الأنبياء والأمّة، الملّة والدين، والأمّة: الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به.

(٢) قيل لحاتم الأصمّ: من أين تأكل؟ فقال من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأنّ ماله إلّا السماء! يا هذا: الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد يقول:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفّل بالأرزاق للخلق كلهم ... وللضب في البيداء وللحوت في البحر

مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ
وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

أذقنا الإنسان : أي أنلناه رحمة أي غنى وصحة.
ثم نزعناها منه : أي سلبناها منه.
يؤوس كفور : أي كثير اليأس أي القنوط شديد الكفر.
نعماء بعد ضراء : أي خيراً بعد شر.
السيئات : جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب.
فرح فخور : كثير الفرح والسرور والبطر.
صبروا : أي على الضراء والمكاره.
مغفرة : أي لذنوبهم.
وأجر كبير : أي الجنة دار الأبرار.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أن الإنسان[1] الذي لم يستنر بنور الإيمان ولم يتحل بصالح الأعمال إن أذاقه الله تعالى رحمة منه برخاء وسعة عيش وصحة بدن، ثم نزعها منه لأمر أراده الله تعالى ﴿إنه﴾ أي ذلك الإنسان ﴿ليؤوس﴾[2] أي كثير اليأس والقنوط ﴿كفور﴾ لربه الذي أنعم عليه جحود لما كان قد أنعم به عليه.

وقوله ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء﴾ أي أذقناه طعم نعمة ولذاذة رخاء وسعة عيش وصحة بدن بعد ضراء كانت قد أصابته من فقر ومرض ﴿ليقولن﴾ بدل أن يحمد الله ويشكره على إسعاده بعد شقاء وإغنائه بعد فقر وصحة بعد مرض يقول متبجحاً ﴿ذهب السيئات عني

---

(١) الإنسان هنا: اسم جنس يشمل كل انسان كافر، وإن قيل: إن الآية في كافر معيّن، وهو الوليد بن المغيرة، أو عبدالله بن أبي أميّة، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٢) هو من باب: فعل يفعل يئِس ييأس يأساً فهو آيس، وللمبالغة: يؤوس أي: كثير اليأس الذي هو: القنوط بانقطاع الرجاء، وجملة: ﴿إنه ليؤوس كفور﴾: جواب القسم في قوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ الخ.

إنه لفرح﴾ أي كثير السرور ﴿فخور﴾ كثير الفخر والمباهاة، وهذا علته ظلمة النفس بسبب الكفـر والمعاصي، أما الإنسان المؤمن المطيع لله ورسوله فعلى العكس من ذلك إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، وذلك لما في قلبه من نور الإيمان وفي نفسه من زكاة الأعمال.

هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿إلا الذين[1] صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة﴾[2] أي لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ عند ربهم وهو الجنة دار السلام.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أن الإنسان قبل أن يطهر بالإيمان والعمل الصالح يكون في غاية الضعف والانحطاط النفسي.

٢ـ ذم اليأس والقنوط[3] وحرمتهما.

٣ـ ذم الفرح بالدنيا والفخر بها.

٤ـ بيان كمال المؤمن الروحي المتمثل في الصبر والشكر وبيان جزائه بالمغفرة والجنة.

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدائد وهو استثناء من لفظ الإنسان الذي هو بمعنى الناس، فالاستثناء متصل وليس بمنقطع.

(٢) ﴿أولائك لهم مغفرة﴾ مبتدأ وخبر، ﴿وأجر كبير﴾ أجر: معطوف وكبير: نعت.

(٣) لقول الله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون﴾.

شرح الكلمات:

فلعلك: للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا يضق صدرك.

ضائق به صدرك : أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا..

كنز : مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك.

وكيل : أي رقيب حفيظ.

افتراه : اختلقه وكذبه.

من استطعتم : من قدرتم على دعائهم لإعانتكم.

فهل أنتم مسلمون : أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له.

معنى الآيات:

بعد أن كثرت مطالبة المشركين الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحول لهم جبال مكة ذهباً في اقتراحات منها لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾[1] أي لا تتلوه على المشركين ولا تبلغهم إياه لتهاونهم به وإعراضهم عنه ﴿وضائق به صدرك﴾ أي بالقرآن، كراهة أن تواجههم به فيقولوا ﴿لولا[2] أنزل عليه كنز﴾ أي مال كثير يعيش عليه فيدل ذلك على إرسال الله له ﴿أو جاء معه ملك﴾ يدعو بدعوته ويصدقه فيها ويشهد له بها فلا ينبغي أن يكون ذلك منك أي فبلغ ولا يضق صدرك ﴿إنما أنت[3] نذير﴾ أي محذر عواقب الشرك والكفر والمعاصي، والله الوكيل على كل شيء أي الرقيب الحفيظ أما أنت فليس عليك من ذلك شيء.

وقوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي بل يقولون افتراه أي افترى القرآن وقاله من نفسه بدون ما أوحي إليه، قل في الرد عليهم ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم﴾[4] دعوتهم لإعانتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم أني افتريته، فإن لم تستطيعوا ولن

---

(١) ﴿فلعلك..﴾ الخ كلام معناه: الاستفهام أي: هل أنت تارك ما فيه سبّ آلهتهم كما سألوك؟ إذ ورد أنهم قالوا له: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سبّ آلهتنا لاتبعناك.

(٢) أي: هلا فهي للتحضيض وليست للامتناع.

(٣) القصر هنا إضافي إذ معناه أنه مقصور على الإنذار وليس عليه هداية القلوب.

(٤) أي: كالكهنة والأعوان والأصنام إذ يعتقدون أنها تنصرهم وتدفع عنهم وإلاّ لما عبدوها مع الله تعالى.

تستطيعوا فتوبوا إلى ربكم وأسلموا له .

وقوله ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾[1] أي قل لهم يارسولنا فإن لم يستجب لنصرتكم من دعوتموه وعجزتم ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾[2] أي أنزل القرآن متلبساً بعلم الله وذلك أقوى برهان على أنه وحيه وتنزيله ﴿وأن لا إله إلا هو﴾[3] أي وأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ، وأخيراً ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا بعد قيام الحجة عليكم بعجزكم ، وذلك خير لكم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان ولاية الله لرسوله وتسديده له وتأييده .

٢- بيان ما كان عليه المشركون من عناد في الحق ومكابرة .

٣- بيان أن الرسول ﷺ لَمْ يُكَلَّفْ هداية الناس وإنما كلف إنذارهم عاقبة كفرهم وعصيانهم ، وعلى الله تعالى بعد ذلك مجازاتهم .

٤- تحدي الله تعالى منكري النبوة والتوحيد بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن فعجزوا وقامت عليهم الحجة وثبت أن القرآن كلام الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله وأن الله لا إله إلا هو.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ[4]

---

(١) الاستجابة هنا: بمعنى الإجابة والسين والتاء فيه للتأكيد.

(٢) العلم: الاعتقاد اليقيني، أي: فأيقنوا أنّ القرآن ما أنزل إلّا بعلم الله أي: ملابساً له.

(٣) معطوف على جملة: ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي: واعلموا أيضاً موقنين أنه لا إله إلا الله. حيث قامت الحجة عليهم بعجز آلهتهم عن الاتيان بعشر سور من مثل القرآن.

(٤) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار).

مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

زينة الحياة الدنيا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب .

نوفّ إليهم : نعطهم نتاج أعمالهم وافياً .

لا يبخسون : أي لاينقصون ثمرة أعمالهم .

وحبط : أي بطل وفسد .

على بينة من ربه : أي على علم يقيني .

ويتلوه شاهد منه : أي يتبعه .

كتاب موسى : أي التوراة .

ومن يكفر به : أي بالقرآن .

فالنار موعده : أي مكان وعد به فهو لا محالة نازل به .

في مرية منه : أي في شك منه .

معنى الآيات :

لما أقام الله تعالى الحجة على المكذبين بعجزهم عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن مفتريات حيث ادعوا أن القرآن مفترى وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد افتراه ولم يبق إلا أن يختار المرء أحد الطريقين طريق الدنيا أو الآخرة الجنة أو النار فقال تعالى ﴿من كان يريد[1] الحياة الدنيا وزينتها﴾ من مال وولد وجاه وسلطان وفاخر اللباس والرياش .

﴿نوف[2] إليهم أعمالهم[3] فيها﴾ نعطهم نتاج عملهم فيها وافياً غير منقوص فعلى قدر جهدهم وكسبهم فيها يعطون ولا يبخسهم عملهم لكفرهم وتركهم ، ثم هم بعد ذلك إن لم يتوبوا

---

(١) أي : ممن رفضوا الإسلام وأبوه بعد قيام الحجة على بطلان ما هم عليه من الكفر ورضوا بالكفر بإرادة الحياة الدنيا .

(٢) التوفية : إعطاء الشيء وافياً ، وعُدي نوف : بإلى لأنه مضمن معنى : نوصل .

(٣) لفظ ﴿أعمالهم﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية فالأعمال الخيرية كصلة الرحم ، وقرى الضيف ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين ، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا : بركة في ماله وولده وحياته ، وأمّا الأعمال الدنيوية كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفى قدر جهده فيها ، فبقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والانتاج فكفره لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه .

إلى ربهم. هلكوا كافرين ليس لهم إلا النار ﴿وحبط ما صنعوا﴾[1] في هذه الدار من أعمال وبطل ما كانوا يعملون.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٥ والثانية ١٦) وهو قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٧) ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾[2] بما أوحى إليه من القرآن وما حواه من الأدلة والبراهين على توحيد الله ونبوة رسوله، وعلى المعاد الآخر، وقوله ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أي ويتبع ذلك الدليل دليل آخر وهو لسان الصدق الذي ينطق به وكمالاته الخُلُقيَّة والروحية حيث نظر إليه اعرابي فقال والله ما هو بوجه كذّاب، ودليل ثالث في قوله ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ أي التوراة ﴿إماماً ورحمة﴾ شاهد له حيث حمل نعوت الرسول وصفاته ونعوت أمته وصفاتها في غير موضع منه أفمن هو على هذه البينات والدلائل والبراهين من صحة دينه، كمن لا دليل له ولا برهان إلا التقليد للضلال والمشركين، وقوله ﴿أولئك يؤمنون به﴾ أي أولئك الذين ثبتت لديهم تلك البيّنات والحجج والبراهين ﴿يؤمنون به﴾ أي بالقرآن الحق والنبي الحق والدين الحق. وقوله تعالى ﴿ومن يكفر به﴾ أي بالقرآن ونبيه ودينه من الأحزاب[3] أي من سائر الطوائف والأمم والشعوب فالنار موعده، وحسبه جهنم وبئس المصير.[4]

وقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية منه﴾[5] أي فلا تك في شك منه أي في أن موعد من يكفر به من الأحزاب النار. وقوله ﴿إنه الحق من ربك﴾[6] أي القرآن الذي كذّب به المكذبون وما تضمنه من الوعد والوعيد، والدين الحق كل ذلك هو الحق الثابت من ربك، إلا أن ﴿أكثر الناس لا يؤمنون﴾[7] وإن ظهرت الأدلة ولاحت الأعلام وقويت البراهين.

---

(١) أعمال الكفار في الدنيا خيرية كانت أو دنيوية تذهب في الدار الآخرة هباء كقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾.

(٢) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافاً كثيرا، وقد اخترنا في التفسير عودها إلى النبي ﷺ ولا مانع من عودها على كل مؤمن صادق الإيمان، بقرينة الخبر وهو قوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لمّا شاهدوا الحجج والبراهين.

(٣) أظهرهم: المشركون واليهود، والنصارى والصابئة والمجوس.

(٤) لأنهم لم يزكّوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح فلذا فلا مأوى لهم إلاّ النّار.

(٥) الخطاب للنبي ﷺ ولكل مؤمن أي: لا يشكنّ مؤمن في أن القرآن حق وأنّ ما أخبر به عن الكافرين مِن أنّ مأواهم النار حق.

(٦) جملة: ﴿انه الحق من ربك﴾ مستأنفة مؤكدة لجملة: ﴿فلا تك في مرية منه﴾.

(٧) لما سبق في علم الله وما قضى به قوله: ﴿لأملأن جهنّم من الجِنة والناس أجمعين﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان حقيقة وهي أن الكفر غير مانع من أن ينتج الكافر بحسب جهده من كسب يده فيحصد إذ زرع ، ويربح إذا اتجر، وينتج إذا صنع .

٢ـ بيان أن الكافر لا ينتفع من عمله في الدنيا ولو كان صالحاً وأن الخسران لازم له .

٣ـ المسلمون على بينة من دينهم ، وسائر أهل الأديان الأخرى لا بينة لهم وهم في ظلام التقليد وضلال الكفر والجهل .

٥ـ بيان سنة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون .

وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ
رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً : أي لا أحد فالاستفهام للنفي .

يعرضون على ربهم : أي يوم القيامة .

الأشهاد : جمع شاهد وهم هنا الملائكة .

لعنة الله : أي طرده وإبعاده .

على الظالمين : أي المشركين.

سبيل الله	: أي الإسلام.
عوجاً	: أي معوجة.
معجزين في الأرض	: أي الله عز وجل أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في أيّة لحظة.
من أولياء	: أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله.
وماكانوا يبصرون	: ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه، ولا رؤيته.

معنى الآيات:

بعد أن قرر تعالى مصير المكذبين بالقرآن ومن نزل عليه وما نزل به من الشرائع ذكر نوعاً من إجرام المجرمين الذين استوجبوا به النار فقال عز وجل ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد في الناس أعظم ظلماً من أحد افترى على الله كذباً ما من أنواع[1] الكذب وإن قل وقوله ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ أي أولئك الكذبة يعرضون يوم القيامة على ربهم جل جلاله في عرصات القيامة، ويقول الأشهاد من الملائكة شاهدين[2] عليهم ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ثم يُعْلِنُ مُعْلِنٌ قائلاً ﴿ألا لعنة الله على[3] الظالمين﴾ أي ألا بعداً لهم من الجنة وطرداً لهم منها إلى نار جهنم.

ثم وضح تعالى نوع جناياتهم التي استوجبوا بهاالنار فقال ﴿الذين[4] يصدون عن سبيل الله﴾ أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الدين الإسلامي، ﴿ويبغونها﴾ أي سبيل الله ﴿عوجاً﴾ أي معوجة كما يهوون ويشتهون فهم يريدون الإسلام أن يبيح لهم المحرمات من الربا والزنى والسفور، ويريدون من الإسلام أن يأذن لهم في عبادة القبور والأشجار والأحجار إلى غير ذلك، ويضاف إلى هذا ذنب أعظم وهو كفرهم بالدار الآخرة. قال تعالى ﴿أولئك﴾ أي المذكورون ﴿لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ أي لم يكن من شأنهم

---

(١) من أنواع كذبهم على الله تعالى: زعمهم أنّ له شريكاً وولداً، وقولهم في الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وتحريمهم ما أحلّ الله ونسبة ذلك إليه تعالى.

(٢) ومن الأشهاد: الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالى لعباده وفي صحيح مسلم: (وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم).

(٣) لعنة الله: أي: بعده وسخطه وإبعاده من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها.

(٤) يجوز أن يكون: ﴿الذين﴾ مجرورا لمحل نعتاً للظالمين، ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر، والمبتدأ محذوف. أي: هم الذين يصدّون.

ومهما رأوا أنفسهم أقوياء أن يعجزوا الله تعالى في الأرض فإنه مدركهم مهما حاولوا الهرب[١] ومنزل بهم عذابه متى أراد ذلك لهم، وليس لهم من دون الله من أولياء أي أنصار يمنعونهم من العذاب متى أنزله بهم، وقوله تعالى ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ إخبار منه بأن هؤلاء الظالمين يضاعف لهم العذاب يوم القايمة لأنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله فيعذبون بصدهم أنفسهم عن الإسلام، وبصد غيرهم عنه، وهذا هو العدل وقوله تعالى فيهم ﴿ما كانوا يستطيعون[٢] السمع وما كانوا يبصرون﴾ إخبار بحالهم في الدنيا انهم كانوا لشدة كراهيتهم للحق ولأهله من الداعين إليه لا يستطيعون سماعه ولا رؤيته ولا رؤية أهله القائمين عليه والداعين إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ عظم ذنب من يكذب على الله تعالى بنسبة الولد أو الشريك إليه أو بالقول عليه بدون علم منه.

٢ـ عظم جرم من يصد عن الإسلام بلسانه أو بحاله، أو سلطانه.

٣ـ عظم ذنب من يريد إخضاع الشريعة الإسلامية لهواه وشهواته بالتأويلات الباطلة والفتاوى غير المسؤولة ممن باعوا آخرتهم بدنياهم.

٤ـ بيان أن من كره قولاً أو شخصاً لا يستطيع رؤيته ولا سماعه[٣].

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتنخسف بهم، وفي سورة سبأ ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾.

(٢) ﴿ما كانوا يستطيعون السمع..﴾ قال القرطبي ما: في موضع نصب على أن يكون المعنى بما كانوا يستطيعون السمع. يُريد أن الباء المحذوفة سببية أي: يُضاعف لهم العذاب بسبب أنهم كانوا لا يستطيعون السمع لما ران على قلوبهم من الآثام فحجب الإثم أسماعهم وأبصارهم، وفي المثل: حبّك الشيء يعمي ويصم، فحبّهم للكفر والشرك والآثام عطّل حواسهم.

(٣) أقول: ما كنت أدرك المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ حتى كان صوت العرب على عهد بطل الاشتراكية «عبدالناصر» وأخذ يسبّ ويشتم ويعبّر ويقبّح سلوك كل من لم يوال الاشتراكيين فكنت ـ والله ـ لا أستطيع سماع ما يذيعه، وثَمَّ فهمت معنى الآية على حقيقته.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات:

وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونه من شركاء لله تعالى.

لا جرم : أي حقاً وصدقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

وأخبتوا إلى ربهم : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته.

مثل الفريقين : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

أفلا تذكرون : أي تتعظون، فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه.؟

معنى الآيات:

مازال السياق في تحديد المجرمين وبيان حالهم في الآخرة فقال تعالى ﴿أولئك﴾ أي البعداء ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث استقروا في دار الشقاء فخسروا كل شيء حتى أنفسهم، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي وغاب عنهم ما كانوا يزعمون أن لهم شركَاء، وأنهم يشفعون لهم وينصرونهم قال تعالى: ﴿لاجرم﴾[1] أي حقاً ﴿أنهم في الآخرة﴾ أي في دار الآخرة ﴿هم الأخسرون﴾ أي الأكثر خسراناً من غيرهم لأنهم أضافوا إلى جريمة كفرهم جريمة تكفير غيرهم ممن كانوا يدعونهم إلى الضلال، ويصدونهم عن الإسلام سبيل الهدى والنجاة من النار. ولما ذكر تعالى حال الكافرين وما انتهوا إليه من خسران. ذكر تعالى حال المؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] أي آمنوا بالله وبوعده ووعيده. وآمنوا برسول الله وبما جاء به، وعملوا الصالحات التي شرعها الله

---

(١) ﴿لا جرم﴾ كلمة: جزم ويقين، واختلف في تركيبها وأظهر أقوالهم فيها: أن تكون لا: حرف نفي، وجزم: بمعنى محالة. ويصح معنى الكملة. لا محالة أو: لابدّ أن يكون كذا وكذا، أو لتفسّر بحقاً، ولا محالة ولابد، إذ جرم مأخوذ من الجرم الذي هو القطع.

(٢) الموصول: اسم إنّ، وآمنوا: صلة ﴿وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربّهم﴾ معطوفان على الاسم، والخبر: ﴿أولائك أصحاب الجنة﴾ وجملة ﴿هم فيها خالدون﴾ جملة بيانية أي مبيّنة لحال أهل الجنة.

تعالى لهم من صلاة وزكاة ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي أسلموا له وجوههم وقلوبهم وانقادوا له بجوارحهم فتطامنوا وخشعوا أؤلئك أي السامون أصحاب الجنة أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يبرحون منها ولا يتحولون عنها، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث أما الآية الرابعة (٢٤) وهي قوله تعالى ﴿مثل الفريقين كالأعمى[1] والأصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا﴾؟ فقد ذكر تعالى مقارنة بين أهل الشرك وأهل التوحيد توضيحاً للمعنى وتقريراً للحكم فقال ﴿مثل الفريقين﴾ أي صفة الفريقين الموضحة لهما هي كالأعمى والأصم وهذا فريق الكفر والظلم والسميع والبصير. وهذا فريق أهل الإيمان والتوحيد فهل يستويان مثلا أي صفة الجواب لا، لأن بين الأعمى والبصير تبايناً كما بين الأصم والسميع تبايناً فأي عاقل يرضى أن يكون العمى والصمم وصفاً له ولا يكون البصر والسمع وصفاً له؟ والجواب لا أحد إذاً ﴿أفلا تذكرون﴾ أي أفلا تتعظون بهذا المثل[2] وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وتوحدوا وتؤمنوا برسوله وتتبعوه، وبكتابه وتعملوا بما فيه؟

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ استحسان المقارنات بين الأشياء المتضادة للعبرة والاتعاظ.

٢ـ الكافر ميت موتاً معنوياً فلذا هو لا يسمع ولا يبصر، والمسلم حيٌّ فلذا هو سميع بصير.

٣ـ بيان ورثة دار النعيم وهم أهل الإيمان والطاعة، وورثة دار الخسران وهم أهل الكفر والظلم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ

---

(١) فريق الإيمان، وفريق الكفر والشرك.

(٢) المثل الذي كشف الحقيقة وبيّن أنّ الكفار عمي صم، وأنّ المؤمنين يبصرون ويسمعون، فأي عاقل يرضى أسوأ الوصفين؟!

ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ 

شرح الكلمات:

نوحا:	هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح عليه السلام.
إني لكم نذير مبين	: أي مخوف لكم من عذاب الله بَيِّنُ النذارة.
عذاب يوم أليم	: هو عذابه يوم القيامة.
الملأ	: الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد.
أراذلنا[1]	: جمع أرذل وهو الأكبر خسة ودناءة.
بادي الرأي	: أي ظاهر الرأي، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة نوح عليه السلام وهي بداية لخمس قصص[2] جاءت في هذه السورة سورة هود عليه السلام قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً[3] إلى قومه إني لكم نذير[4] مبين﴾ أي قال لهم إني لكم نذير مبين أي بين النذارة أي أخوفكم عاقبة كفركم بالله وبرسوله وشرككم في عبادة ربكم الأوثان والأصنام. وقوله ﴿أن لا تعبدوا[5] إلا الله﴾ أي نذير لكم بأن لا تعبدوا إلا الله، وتتركوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان وقوله ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ علل لهم أمرهم بالتوحيد ونهيهم عن الشرك بأنه يخاف عليهم إن أصروا على كفرهم وتركهم عذاب يوم أليم[6] وهو عذاب يوم القيامة ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي فرد على نوح ملأ قومه اشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم ممن كفروا بالله ورسوله فقالوا ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا[7]﴾ أي لا فضل لك علينا فكيف تكون رسولاً لنا ونحن مثلك هذا

---

(١) الأرذل: اسم تفضيل والمفضّل عنه يقال له: رذْل ككلب ويجمع على أرذُل كأكلب.
(٢) هذا العطف من باب عطف قصّة على قصّة: الواو: تسمى الواو الابتدائية.
(٣) كُسرت: إنّ لأنّ الإرسال فيه معنى القول وإن تكسر بعد القول.
(٤) القِصّة: بكسر القاف والجمع: قصص كحجّة وحجج: الخبر يروى وتُتَبّع أجزاؤه بعناية، والقصص بفتح القاف: مصدر قصّ الحديث يقصّه قصاً.
(٥) هذه الجملة مفسّرة لجملة ﴿أرسلنا نوحاً﴾ أو لقوله: ﴿إني لكم نذير مبين﴾.
(٦) وجائز أن يكون ﴿عذاب يوم أليم﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان.
(٧) مثلنا: منصوب على الحال.

أولاً وثـانياً ﴿ومـا نراك اتبعـك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي سفلتنا[1] من أهل المهن المحتقرة كالحياكـة والحجـامـة والجـزارة ونحـوهـا وقـولهم[2] بادي الـرأي أي ظاهـر الـرأي لاعمق في التفكير ولا سلامة في التصور عندك وقولهم ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أي وما نرى لكم علينا من أي فضل تستحقون به أن نصبح أتباعاً لكم فنترك ديننا ونتبعكم على دينكم بل نظنكم كاذبين فيما تقولون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إن نوحاً واسمه عبدالغفار أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن أشركوا بربهم وعبدوا غيره من الأوثان والآلهة الباطلة.

٢ـ قوله أن لا تعبدوا إلا الله هو معنى لا إله إلاّ الله

٣ـ التذكير بعذاب يوم القيامة.

٤ـ اتباع الرسل هم الفقراء والضعفاء و خَصُومهم الأغنياء والأشراف والكبراء.

٥ـ احتقار أهل الكبر لمن دونهم. وفي الحديث «الكبر[3] بطر الحق وغمط الناس».

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ

---

(١) قال القرطبي: اختلف في السفلة فقيل: هم الذين يتقلسون ويأتون أبواب القضاة والسلاطين يطلبون الشهادات، وقال مالك: السفلة: الذين يسبون الصحابة. وقال آخر: الذين يأكلون على حساب دينهم.

(٢) ومنه البادية وهي الأراضي الظاهرة لاتحوطها مبانٍ ولا بساتين ولا مصانع.

(٣) الحديث في الصحيح فقد قال ﷺ (إنّ الله لا يدخل الجنة مَنّ كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر) فسئل عن الكبر فقال: الكبر: بطر الحق وغمط الناس) وبطر الحق: عدم قبوله، وغمط الناس: احتقارهم.

أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١)

شرح الكلمات:

أرأيتم : أي أخبروني.

على بينة من ربي : أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله.

فعميت عليكم : أي خفيت عليكم فلم تروها.

أنلزمكموها : أي أجبركم على قبولها.

بطارد الذين آمنوا : أي بمبعدهم عني ومن حولي.

خزائن الله : التي فيها الفضل والمال.

تزدري أعينكم : تحتقر أعينكم.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصة نوح مع قومه فأخبر تعالى أن نوحاً قال لقومه أرأيتم أي أخبروني إن كنت على بيِّنة من ربي أي على علم يقيني تعالى وبصفاته وبما أمرني به من عبادته وتوحيده والدعوة إلى ذلك. وقوله ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ وهي الوحي والنبوة والتوفيق لعبادته. ﴿فعميت عليكم﴾[1] أنتم فلم تروها. فماذا أصنع معكم ﴿أنلزمكموها﴾[2] أي أنجبركم أنا ومن آمن بي على رؤيتها والإيمان بها والعمل بهداها، ﴿وانتم لها كارهون﴾[3] أي والحال أنكم كارهون لها والكاره للشيء لا يكاد يراه ولا يسمعه، هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٧) أما الآية الثانية فإن الله تعالى يخبر أيضا عن قيل نوح لقومه: ﴿ وياقوم لا أسألكم عليه مالا﴾ أي لا أطلب منكم أجراً على ابلاغكم هذه الرحمة التي عميت عليكم فلم تروها. ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي ما أجري إلا على الله إذ هو الذي كلفني

(١) قرىء: ﴿عميت﴾ بتشديد الميم، وقرأ ورش بتخفيفها، ومعناه: إنّ الرسالة عميت عليكم فلم تفهموها. يقال: عميت عن كذا، وعمي عليّ كذا: أي: لم أفهمه.

(٢) ﴿أنلزمكموها﴾ أي: الرحمة التي هي عبادة الله وحده وترك عبادة سواه والاستفهام انكاري. أي: ما كان لي ذلك والحال أنكم كارهون لها.

(٣) قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه. ولكنّه لم يملك ذلك.

بالعمل بها والدعوة إليها وواعدني بالأجر عليها. وقوله ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ أي وما أنا بمطيعكم في طرد المؤمنين من حولي كما اقترحتم عليّ، إنهم ملاقو ربهم، ومحاسبهم ومجازيهم على أعمالهم فكيف يصح مني ابعادهم عن سماع الحق وتعلمه والأخذ به ليكملوا ويسعدوا إذ العبرة بزكاة النفوس وطهارة الأرواح بواسطة الإيمان والعمل الصالح لا بالشرف والمال والجاه كما تتصورون ولذا فأني أراكم قوما تجهلون هذا ما دلت عليه الآية الثانية (٢٨) ثم قال لهم في الآية الثالثة ﴿وياقوم من ينصرني[١] من الله إن طردتهم﴾ أي من هو الذي يرد عني عذاب الله ويمنعني منه إن أنا عصيته فطردت أي أقصيت وأبعدت عباده المؤمنين عن سماع الهدى وتعلم الخير ولا عِلَةَ لذلك إلا لأنهم فقراء ضعفاء تزدريهم أعينكم المريضة التي لا تقدر على رؤية الحق وأهله والداعين إليه. ثم قال لهم ﴿أفلا تذكرون[٢]﴾ أي تتفكرون فتعلمون خطأكم وجهلكم فتتوبوا إلى رشدكم. وتتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به وبرسوله وتعبدوه وحده لا شريك له ثم قال لهم في الآية الأخيرة (٣١) ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾[٣] ردا على قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ﴿ولا أعلم الغيب فأعرف ما تخفيه صدور الناس﴾ فأطرد هذا وأبقي هذا، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴿ولا أقول للذين تزدري[٤] أعينكم﴾ لفقرهم وضعفهم ﴿لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم﴾ أي من صدق أو نفاق ومن حب لي أو بغض كأنهم طعنوا في المؤمنين واتهموهم بأنهم ينافقون أولهم أغراض فاسدة أو أطماع مادية من أجلها التفوا حول نوح، وقوله ﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾ أي إني إذا قلت للمؤمنين من الضعفاء لن يؤتيكم الله خيرا كنت بعد ذلك من الظالمين[٥] الذين يعتدون على الناس بهضمهم حقوقهم وامتهان كرامتهم.

هداية الآيات:

---

(١) أي: مَنْ يرد عنّي عذابه إن استوجبته بطرد عباده المؤمنين؟ والجواب: لا أحد فكيف إذاً يسوغ لي أن أطردهم كما ترغبون.

(٢) ﴿أفلا تذكّرون﴾ قرىء: تذكّرون بحذف إحدى التائين وقرىء تذّكرون: بتشديد الذال، بادغام إحدى التائين في الأخرى. والاستفهام للإنكار أي: ينكر عليهم غفلتهم وجهلهم وعدم تذكرهم ليتّعظوا.

(٣) أخبر عليه السلام بتذلله وتواضعه لربّه عزّ وجلّ فنفى عن نفسه القدرة على امتلاك خزائن الفضل والمال كما نفى عن نفسه علم الغيب وأن يكون ملكاً من الملائكة.

(٤) أي: تحتقر أعينكم. والأصل: تزدريهم، حذفت الهاء والميم لطول الاسم، والازدراء: افتعال من الزري الذي هو الاحتقار، والصاق العيب فالازدراء أصله الازتراء فقلبت فيه التاء دالاً فصار: الازدراء كما قلبت في: الازدياد.

(٥) في قوله: ﴿من الظالمين﴾: تعريض بقومه، فوصفهم بالظلم من حيث لا يشعرون.

من هداية الآيات :

١) كُرهُ الشيء يجعل صاحبه لا يراه ولا يسمعه ولا يفهم ما يقال له فيه .

٢) كراهية أخذ الأجرة على الدعوة والتربية والتعليم الديني .

٣) وجوب احترام الضعفاء وإكرامهم وحرمة احتقارهم وازدرائهم .

٤) علم الغيب استأثر الله تعالى به دون سائر خلقه إلا من علمه الله شيئا منه فإنه يعلمه .

٥) حرمة غمط الناس وازدرائهم والسخرية منهم

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

جادلتنا	: أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما نحن عليه .
بما تعدنا	: أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعونا إليه .
إن كنت من الصادقين	: أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله عز وجل .
بمعجزين	: أي بغالبين ولا فائتين الله تعالى متى أراد الله عذابكم .
نصحي	: أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم على الكفر به وبلقائه ورسوله .
أن يغويكم	: أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبدا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة نوح عليه السلام مع قومه فأخبر تعالى عن قول قوم نوح له عليه

السلام: فقال: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا[1]﴾ أي خاصمتنا وأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين أي فعجل العذاب وأنزله علينا إن كنت من الصادقين فيما تقول وتدعو وتعد. فأخبر تعالى عن قول نوح لهم ردا على مقالتهم وهو ما علمه ربه تعالى أن يقوله: فقال ﴿قل إنما يأتيكم به الله﴾ أي بالعذاب الله إن شاء ذلك. ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي فائتين الله ولا هاربين منه. وقوله: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم[2] هو ربكم وإليه ترجعون﴾. أي إن نصحي لا ينفعكم بمعنى أنكم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم وما أنتم عليه من عناد وكفر ومجاحدة ومكابرة إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل الأولى بهم الضلالة حتى[3] يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة. وقوله تعالى: ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ أي فالأمر له ألستم عبيده وهو ربكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم وإن كانت حكمته تنفي أن يعذب الصالحين ويرحم الغواة الظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مشروعية الجدال لإحقاق الحق وإبطال الباطل. بشرط الأسلوب الحسن.

٢- إرادة الله تعالى قبل كل إرادة وما شاءه الله يكون وما لم يشأه لم يكن.

٣- لاينفع نصح الناصحين ما لم يرد الله الخير للمنصوح له.

٤- ينبغي عدم إصدار حكم على عبد لم يمت فيعرف بالموت مآله. إلاّ قول الله أعلم به.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ[4] قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) ﴿جادلتنا﴾ أي: خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها، والجدل في لغة العرب: المبالغة في الخصومة. مأخوذ من الجدل: الذي هو شدّة الفتل، وقالوا في الصقر أجدل: لشدته في الطيران.

(٢) فيه الرد على بطلان مذهب المعتزلة، والقدرية إذ زعموا أن الله لايريد أن يعصي العاصي ولا أن يكفر الكافر ولا أن يغوي الغاوي وتجاهلوا أنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد، ولا يقع شيء إلاّ بإذنه فهو الهادي لمن شاء هدايته، والمضل لمن شاء إضلاله. ولكن كُلًّا من هدايته وإضلاله يتمان حسب سنته في الهداية والإضلال فلا يظلم ربّك أحدا.

(٣) ومن فسّر ﴿أن يغويكم﴾: يهلككم: أراد أنّ الهلاك سبب للإغواء، فمن أغواه أهلكهُ، إذ لا يَهلك إلاّ الغاوي.

(٤) شرح هذه الآية في (ص ٥٤٥) وأخرت على أنها معترضة لقصة نوح عليه السلام.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

وأوحى إلى نوح : أي اعلم بطريق الوحي الذي هو الاعلام السريع الخفي .

فلا تبتئس : لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم .

الفلك : أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها .

سخروا منه : أي استهزئوا به كقولهم : تحمل هذا الفلك إلى البحر أو تحمل البحر إليه .

يخزيه : أي يذله ويهينه .

ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه .

معنى الآيات :

عاد السياق بعد الاعتراض بالآية (٣٥) إلى الحديث عن نوح وقومه فقال تعالى ﴿وأوحى إلى نوح أنه[١] لن يؤمن من قومك إلا من[٢] قد آمن﴾ . وهذا بعد دعوة دامت قرابة ألف سنة إلا

---

(١) ﴿أنّه﴾ في موضع رفع نائب فاعل لأوحي أي : أوحي إلى نوح عدم إيمان قومه ومعنى الكلام : الإياس من إيمانهم ، واستدامة كفرهم تحقيقاً للوعيد بنزول العذاب بهم .

(٢) روي أنّ رجلاً من قوم نوح مرّ بنوح وهو يحمل طفلهُ فلما رأى الطفل نوحاً قال لأبيه ناولني حجراً فناوله إياها فرمى بها نوحاً فأدماه ، فأوحى الله تعالى إلى نوح : ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن . .﴾

خمسين عاما أي فلم يؤمن بعداليوم أحد من قومك وعليه فلا تبتئس[1] أي لا تغتم ولا تحزن بسبب ما كانوا يفعلون من الشر والفساد والكفر والمعاصي فإني منجيك ومن معك من المؤمنين ومهلكهم بالغرق. وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٧) ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ أي وأمرناه أن يصنع الفلك أي السفينة تحت بصرنا وبتوجيهنا وتعليمنا. إذ لم يكن يعرف السفن ولا كيفية صنعها وقوله ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي لا تسألني لهم صرف العذاب ولا تشفع لهم في تخفيفه عليهم، لأنا قضينا بإهلاكهم بالطوفان فهم لا محالة مغرقون قوله تعالى ﴿ويصنع الفلك[2] وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ يخبر تعالى عن حال نوح وهو يصنع الفلك بقطع الخشب ونجره وتركيبه وقومه يمرون عليه وكلما مرّ عليه أشراف القوم وعليتهم يسخرون منه كقولهم يا نوح أصبحت نجاراً أو وهل تنقل البحر إليها، أو تنقلها إلى البحر فيرد عليهم نوح عليه السلام بقوله ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ أي منا. فسوف تعلمون أي مستقبلاً من يأتيه عذاب يخزيه أي يذله ويهينه ويكسر أنف كبريائه، ويحل[3] عليه عذاب مقيم وهو عذاب النار يوم القيامة وهو عذاب دائم لا ينتهي أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- كراهية الحزن والأسى والأسف على ما يقوم به أهل الباطل والشر والفساد.

٢- بيان تاريخ صنع السفن وانها بتعليم الله لنوح عليه السلام.

٣- بيان سنة البشر في الاستهزاء والسخرية بأهل الحق ودعاته لظلمة نفوسهم بالكفر والمعاصي.

٤- بيان صدق وعد الله رسله.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا

---

(١) الابتئاس: افتعال من البؤس الذي هو الهمّ والحزن. قال الشاعر:

وكم من خليل أو حميم رزأته فلم أبتئس والرزء فيه جليل

(٢) اختلفت الأقوال في مدّة صنع السفينة، أكثرها أنها: أربعون سنة. وجائز أن تكون أكثر، لأنّ عمل فرد واحد في صنع سفينة يتطلب وقتاً طويلاً أمّا حجمها فيدل على كبره ما حمل فيها، إذ حمل فيها كل مؤمن ومؤمنة ومن كل زوجين اثنين، فحجمها لا شك أنه واسع كبير، وقيل: كانت السفينة ثلاث طبقات: السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطيور. والله أعلم، والحديث عن طول السفينة وعرضها ومادتها كله من باب علم لا ينفع وجهالة لا تضر.

(٣) أي: يجب عليه وينزل به.

مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

فار التنور : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.

زوجين اثنين : أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.

وأهلك : أي زوجتك وأولادك.

مجريها ومرساها : أي اجراؤها وإرساؤها.

في موج كالجبال : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.

يعصمني من الماء : يمنعني من الماء أن يغرقني.

وغيض الماء : أي نقص بنضوبه في الأرض.

على الجودي : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.

بعدا للقوم الظالمين : أي هلاكا لهم.

شرح الكلمات:

أم يقولون : أي بل يقولون افتراه.

افتراه : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه.

فعلى اجرامي[1] : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجرام تعود عليَّ لا على غيري.

وأنا بريء : أي أتبرأ وأتنصل من إجرامكم فلا أتحمل مسؤوليته.

مما تجرمون : أى على أنفسكم بإفسادها بالشرك والكفر والعصيان.

معنى الآية:

هذه الآية الكريمة أوقعها الله مُنَزِلُها سبحانه وتعالى بين أجزاء الحديث عن نوح وقومه، وحسن موقعها هنا لأن الحديث عن نوح وقومه لا يتأتى لأحد إلا لنبي يوحى إليه، وذلك لبعده في التاريخ فَقَصُّ النبيّ له اليوم دليل على أنه نبي يُوحى إليه، فلذا قال أم يقولون افتراه[2] أي يقولون افترى القرآن وكذبه ولم يوح إليه قل إن افتريته كما زعمتم فعليّ إجرامي أي أثم كذبي وأنا بريء مما تجرمون أنتم بتكذيبكم إياي وكفركم بربكم ورسوله ووعده ووعيده.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- جواز الاعتراض في الكلام إذا حسن موقعه لإقامته حجة أو إبطال باطل أو تنبيه على أمر مهم.

٢- قص القصص أكبر دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة ودعوته إلى الله تعالى.

٣- تقرير مبدأ تحمل كل إنسان مسؤولية عمله وأن لا تزر وازرة وزر أخرى.

---

(١) الإجرام: مصدر أجرم يجرم إجراماً: إذا اقترف السيئات وجرم الثلاثي كأجرم الرباعي، قال الشاعر وهو أحد لصوص بني سعد:

طريد عشيرة ورهين جرم بما جرمت يدي وجنى لساني

(٢) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو: أنّ المراد بمن يقول افتراه: النبي ﷺ. والآية معترضة أحاديث قصة نوح وذهب بعضهم نقلاً عن ابن عباس أنها من محاورة نوح عليه السلام مع قومه: واستظهروها من أجل السياق السابق واللاحق والله أعلم.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنّور﴾ أي واصل صنع السفينة حتى إذا جاء أمرنا أي بإهلاك المشركين، وفار[1] التنور أي خرج الماء من داخل التنور وفار وتلك علامة بداية الطوفان فاحمل فيها أي في السفينة التي صنعت من كل زوجين[2] اثنين أي من كل نوع من أنواع الحيوانات زوجين أي ذكراً وأنثى. وأهلك أي واحمل أهلك من زوجة وولد كسام وحام ويافث إلا من سبق عليه القول أي بالإهلاك كامرأته واعلة وولده كنعان. ومن آمن[3] أي واحمل من آمن من سائر الناس، ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ أي نحو من ثمانين رجلاً وأمرأة هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٤٠) أما الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن نوحاً قال لجماعة المؤمنين ﴿اركبوا فيها﴾ أي في السفينة ﴿باسم الله مجراها ومرساها[4]﴾ أي باسم الله تجري وباسم الله ترسو أي تقف ﴿إن ربيّ لغفور رحيم[5]﴾ أي فهو لا يهلكنا بما قد يكون لنا من ذنب ويرحمنا فينجينا ويكرمنا. وقوله تعالى في الآية الثالثة (٤٢) ﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾ وصف للسفينة وهي تغالب الماء وتمخر عبابه وأمواج الماء ترتفع حتى تكون كالجبال في ارتفاعها وقبلها نادى نوح ابنه كنعان، وهو في هذه الساعة في معزل[6] أي من السفينة حيث رفض الركوب فيها لعقوقه وكفره[7] فقال له ﴿يابني[8] اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ فتغرق كما يغرقون فأجاب الولد قائلا

---

(١) الفوران: غليان القدر، ويطلق على نبع الماء بشدّة تشبيها بفوران ماء في القدر إذا غلى، والتنور: اسم لموقد النار للخبز.

(٢) قرأ حفص ﴿من كل﴾ بتنوين كل فالتنوين عوض عن مضاف إليه أي: من كل المخلوقات، و﴿زوجين﴾ مفعول لـ (احمل)، واثنين: نعت له وقرأ الجمهور بإضافة كلّ إلى زوجين، والمراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات.

(٣) ومن آمن: أي: كل المؤمنين.

(٤) جائز أن يكون القائل: ﴿اركبوها﴾ الله جلّ جلاله، وجائز أن يكون نوحاً عليه السلام والركوب: العلو على ظهر شيء، وقال: فيها، ولم يقل عليها لأنها ظرفٌ لهم يدخلون فيها.

(٥) قرأ الجمهور بضم الميم في كل من مجراها، ومرساها، وهما مصدران من: اجرى وأرسى، وقرأ عاصم بفتح ميم مجراها، وضم ميم مرساها كالجمهور، ولم يفتح ميم مرساها لاشتباهه. حينئذ المرسى مكان الرسو، وقرىء مجريها، ومرسيها باسم الفاعل أي: بسم الله مجريها ومرسيها.

(٦) روي أن النبي ﷺ قال: (أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون. بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربي لغفور رحيم﴾.

(٧) وقيل: في معزل أي: من دين أبيه.

(٨) قرأ حفص: ﴿يا بنيَّ﴾ بفتح الياء المشددة وكَسَرَهَا غير عاصم.

﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ أي يمنعني منه حتى لا أغرق، فأجابه نوح قائلا ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ أي بعذاب الكافرين ﴿إلا من رحم﴾ أي الله فهو المعصوم. قال تعالى ﴿وحال بينهما الموج﴾ أي بين الولد العاق والوالد الرحيم ﴿فكان﴾ أي الولد ﴿من المغرقين﴾. وقوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ أي اشربيه وابتلعيه، ويا سماء اقلعي أي من الصب والإمطار، والآمر للأرض والسماء هو الله تعالى. ﴿وغيض الماء﴾ أي نقص ونضب. ﴿واستوت على الجودي[1]﴾ أي ورست السفينة بركابها على الجودي وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً لهم فلم يبق منهم أحدا إذ أخذهم الطوفان وهم ظالمون بدأ الطوفان أول يوم من رجب واستمر ستة أشهر حيث رست السفينة في أول محرم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الإيمان ينجي، والكفر يهلك ويردي.

٢ـ مشروعية التسمية عند الركوب في سفينة أو غيرها.

٣ـ عقوق الوالدين كثيراً ما يسبب الهلاك في الدنيا، أما عذاب الآخرة فهو لازم له.

٤ـ مظهر من مظاهر رحمة الوالد بولده.

٥ـ مظاهر عظمه الرب تعالى وإطاعة الخلق أمره حتى الأرض والسماء.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا

(١) ﴿الجودي﴾ أحد جبال ثلاثة أكرمهم الله تعالى، الجودي بإرساء السفينة عليه، وطور سينا: بمناجاة موسى عليه، وحراء بتعبد النبي ﷺ فيه ونزول جبريل عليه فيه.

تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ
اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

من أهلي : أي من جملة أهلي من ازواج وأولاد.

وإن وعدك الحق : أي الثابت الذي لا يخلف.

إنه عمل غير صالح : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح.

أعظك : أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين.

من الجاهلين : أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم.

سنمتعهم : أي بالأرزاق والمُتع إلى نهاية آجالهم ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة.

للمتقين : أي الذين يتقون الله فيعبدونه ولا يشركون به شيئا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن نوح وقومه قال تعالى، ﴿ونادى نوح ربّه﴾ أي دعاه سائلا ﴿ربِّ إن ابني من أهلي[1] وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾، وهذا كان منه حال الإركاب في الفلك، وامتناع ولده كنعان من الركوب أي رب إن ولدي كنعان من زوجتي ومن جملة أولادي، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي ومن معي من المؤمنين، ﴿وإن وعدك الحق﴾ أي الذي لا خلف فيه ابداً، ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أعلمهم وأعدلهم، وهذا ابني قد استعصى عنّي ولم يركب معي وسيهلك مع الهالكين إن لم ترحمه يارب

---

(١) أي: الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق، وسأل نوح ربّه نجاة ولده لقوله تعالى ﴿وأهلك﴾ وكان كنعان يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

العالمين فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله الحق: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ أي الذين وعدتك بإنجائهم لأنه على غير دينك وعلى خلاف منهجك، ﴿إنه عمل[1] غير صالح﴾ أي إن سؤالك هذا إليّ بإنجاء ولدك وهو كافر على غير ملتك، وقد أعلمتك إني مغرق الكافرين. سؤالك هذا عمل غير صالح يصدر عنك: ﴿إني أعظك﴾ أي أنهاك وأخوفك ﴿أن تكون من الجاهلين﴾ فتسألني ما ليس لك به علم. قال نوح ﴿ربّ﴾ أي يارب إنّي أعوذ بك أي استجير وأتحصن بك أن أسألك بعدالآن ما ليس لي به علم. وإلا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين أي الذين غبنوا أنفسهم حظوظها فهلكوا، فأجابه الرب[2] تعالى ﴿يانوح أهبط﴾ من السفينة أنت ومن ومعك من المؤمنين بسلام منا أي بأمن منا وتحيات، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي من ذريّة من معك، فلا تخافوا جوعاً ولا شقاء، وأمم من ذريّة من معك سنمتعهم متاع الحياة الدنيا بالأرزاق ثم يمسهم منا عذاب أليم يوم القيامة لأنهم ينحرفون عن الإسلام ويعيشون على الشرك والكفر. وهذا من علم الغيب الذي أخبر الله تعالى به فكان كما أخبر فقد نشأت أجيال وأجيال من ذريّة نوح منهم الكافر ومنهم المؤمن وفي الجميع ينفذ حكم الله ويتم فيهم وعده ووعيده. وقوله تعالى في الآية (٤٩) وهي الأخيرة في هذا السياق يقول تعالى ﴿تلك من أنباء الغيب[3] نوحيها﴾ أي هذه القصة التي قصصناها عليك من أنباء الغيب الذي لا يعلم تفصيله إلا الله نوحيها إليك ضمن آيات القرآن ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على وجه التفصيل من قبل هذاالقرآن إذاً فاصبر يارسولنا على أذى قومك مبلغاً دعوة ربك حتى يأتيك نصرنافإن العاقبة[4] الحسنى الحميدة دائما للمتقين ربهم بطاعته والصبر عليها حتى يَلْقوهُ مؤمنين صابرين محتسبين.

---

(١) قرأ ابن عباس، وعروة وعكرمة، ويعقوب، والكسائي: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ أي: إن ابنك عمل عملاً غير صالح، وهو الكفر والتكذيب وقرأ الباقون ﴿عملٌ غير صالح﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف كقول الشاعر:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي: ذات إقبال وإدبار.

(٢) وجائز أن يكون القائل: ﴿اهبط﴾: الملائكة عليهم السلام بإذن الله تعالى.

(٣) اشتملت الآية على ثلاثة أمور هي: الامتنان والصبر، والتسلية، فالامتنان في قوله: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك﴾ والموعظة في قوله ﴿فاصبر﴾ الخ.. والتسلية في قوله، ﴿إن العاقبة للمتقين﴾.

(٤) العاقبة في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز وهو النجاة من النار، ودخول الجنة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ رابطة الإيمان والتقوى أعظم من رابطة النسب .
٢ـ حرمة العمل بغير علم فلا يحل القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه .
٣ـ ذم الجهل وأهله .
٤ـ شرف نوح عليه السلام وانه أحد أولى العزم من الرسل .
٥ـ بيان العبرة من القصص القرآني وهي تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .
٦ـ تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها ببرهان عقلي وهو الإخبار بالغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي .
٧ـ بيان فضل الصبر، وأن العاقبة الحميدة للمتقين وهم أهل التوحيد والعمل الصالح .

وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وإلى عاد أخاهم هودا : أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هوداً. وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح عليه السلام .

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره .

ما لكم من إله غيره : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره .

إن أنتم إلا مفترون	أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون.
لا أسألكم عليه أجرا	: أي لا أطلب منكم أجراً على إبلاغي دعوة التوحيد إليكم.
فطرني	: أي خلقني.
مدرارا	: أي كثيرة الدرور للمطر النازل منها.
ولا تتولوا مجرمين	: أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين على أنفسكم بالشرك بالله.

معنى الآيات:

هنا شروع في قصة هود مع قومه عاد بعد قصة نوح عليه السلام ومغزى القصة تقرير توحيد الله ونبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم[1] هوداً﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد[2] أخاهم هوداً وهو أخوهم في النسب وأول من تكلم بالعربية فهو أحد أربعة أنبياء من العرب وهم هود، وصالح، وشعيب، ومحمدصلى الله عليه وسلم. وقوله ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ أي قال هود لقومه بعد أن أرسله الله إليهم يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه غيره فإنه ما لكم من إله غير[3] الله سبحانه وتعالى. وقوله ﴿إن أنتم إلاّ مفترون﴾ أي ما أنتم في عبادة غير الله من الأصنام والأوثان إلاّ كاذبون، إذ لم يأمركم الله تعالى ربكم بعبادتها، وإنما كذبتم عليه في ذلك. وقوله ﴿ياقوم لا أسألكم عليه اجرا﴾ يريد لا أسألكم على دعوتي إياكم إلى توحيد ربكم لتكملوا بعبادته وتسعدوا أجراً أي مالاً ﴿إن أجري إلا على الله الذي فطرني﴾ أي ما أجري إلا على الله الذي خلقني. وقوله ﴿أفلا تعقلون[4]﴾ أي أفلا تعقلون أنّي لو كنت أبغي بدعوتي إلى التوحيد أجراً لطلبت ذلك منكم، غير أني لم أطلب من غير ربي أجراً فبان بذلك صدقي في دعوتكم ونصحي لكم.

وقوله تعالى عن قيل هود ﴿يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ يخبر تعالى أن هوداً نادى قومه فقال يا قوم استغفروا ربكم أي آمنوا به واطلبوامنه المغفرة لذنوبكم، ثم توبوا إليه أي ارجعوا إلى عبادته وحده بما شرع لكم على لسان نبيكم، واتركوا عبادة غيره يكافئكم بأن

---

(١) وجائز أن تكون أخوة بني آدم إذ الكل من آدم عليه السلام.

(٢) هما: عادان، الأولى والثانية لقوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فهؤلاء هم عاد الأولى، وأمّا الأخرى فالله أعلم بها.

(٣) يصح في: ﴿غير﴾ الجر والرفع والنصب، فالجرّ على اللفظ، والرفع على الموضع والنصب على الاستثناء.

(٤) وجائز أن يكون ﴿أفلا تعقلون﴾ لما جرى لقوم نوح لمّا كذّبوا الرسل، وما في التفسير أولى وأكثر فائدة.

يرسل السماء عليكم مدراراً[1] أي بالأمطار المتتالية بعد الذي أصابكم من الجفاف والقحط والجدب، ويزدكم قوة روحية إلى قوتكم المادية، وقوله ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ ينهاهم ناصحاً لهم أن يرفضوا نصيحته ويرجعوا إلى عبادة الأوثان فيُجْرِمُوا على أنفسهم بإفسادها بأوضار الشرك والعصيان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- دعوة الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم واحدة وهي: أن يُعبَدَ الله وحده.

٢- تقرير مبدأ لا إله إلا الله.

٣- المشركون والمبتدعون الكل مفترون على الله كاذبون حيث عبدوه بما لم يشرع لهم.

٤- وجوب الإخلاص في الدعوة.

٥- فضل الاستغفار ووجوب التوبة.

٦- تقديم الاستغفار على التوبة مشعر بأن العبد إذا لم يعترف أولا بذنبه لا يمكنه أن يتوب منه.

قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾
إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

---

(١) أي: كثيرة المطر المتتابع الذي يتلو بعضهُ بعضا، يقال: درّت السماء تدرّ فهي مدرار، وكان قوم هود أهل بساتين وزروع حياتهم متوقفة على المطر.

شرح الكلمات:

بيّنة	: أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وحده.
وما نحن بتاركي آلهتنا	: أي عبادة آلهتنا لأجل قولك إنها لا تستحق أن تعبد.
إلّا اعتراك	: أي أصابك.
بسوء	: أي بِخَبَل فأنت تهذي وتقول مالا يقبل ولا يعقل.
ثم لا تنظرون	: أي لا تمهلون.
آخذ بناصيتها	: أي مالكهـا وقاهرها ومتصرف فيها. فلا تملك نفعا ولا ضراً إلا بإذنه.
إن ربي على صراط مستقيم	: أي على طريق الحق والعدل.
فإن تولوا	: أصلها تتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التائين ومعناه تُدبروا.
على كل شيء حفيظ	: أي رقيبٌ ولا بد انه يجزي كل نفس بما كسبت.

معنى الآيات:

مازال السياق في قصة هود مع قومه إذ أخبر تعالى عن قيل قوم هود إلى هود فقال ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة﴾ أي بحجة أو برهان على صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وترك عبادة آلهتنا والاعتراف بنبوتك ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا﴾ أي عبادتها ﴿عن قولك﴾ أي من أجل قولك انها لا تستحق أن تعبد لكونها لا تنفع ولا تضر، ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ أي بمتـابعين لك على دينك ولا مصدقين لك فيما تقول ﴿إن نقول إلا اعتراك[1] بعض آلهتنا بسوء﴾ أي ما نجد ما نقول فيك إلا أن بعض آلهتنا التي تسبها وتشتمها قد أصابتك بسوء بخبـل وجنـون فأنت تهذر وتهذي ولا تدري ما تقول. فأجابهم قائلا ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بري ءمما تشركون﴾ فأعلن براءته في وضوح من آلهتهم وأنه لا يخافها إبطالا لدعواهم أنَّها أصابته بسوء، وأعلمهم أنه يشهد الله على ذلك، ثم أمرهم أن يشهدوا هم كذلك[2]. وقوله ﴿من دونه﴾ أي من دون الله من سائر الآلهة والشركاء ثم تحداهم مستخفا

---

(١) عراه واعتراه بمعنى واحد، وهو: أصابك، يقال: اعتراني كذا، أي، اصابني، كما يقال: عراني نعاس أو تفكير أي: أصابني.

(٢) ما أمرهم بالشهادة لكونهم أهلا لها، وإنما زيادة في التقرير، وخالف بين الفعلين حتى لا يسوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم.

بهم وبـآلهتهم، فقـال ﴿فكيدوني[1] جميعا﴾ أي احتالوا على ضري ثم لا تنظرون أي لا تؤخرون ولا تمهلون، ثم كشف لهم عن مصدر قوته وهو توكله على ربّه فقال ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ أي فوضت أمري إليه وجعلت كل ثقتي فيه فهو لا يسلمني إليكم ولا يخذلني بينكم. ثم أعلمهم بإحاطة قدرة الله بهم وقهره لهم فقال ﴿وما من دابّة[2] إلا هو آخذ بناصيتها[3]﴾ أي قاهر لها متحكم فيها يقودها حيث شاء وينزل بها من العذاب ما يشاء، ثم أعلمهم أن ربّه تعالى على طريق العدل والحق فلا يُسلط أعداءه على أوليائه، فقال ﴿إن ربّي على صراط مستقيم﴾ فلذا أنا لست بخائف ولا وجل ثم قال لهم ﴿فإن تولوا﴾ أي فإن تدبروا عن الحق وتعرضوا عنه فغير ضائري ذلك إذ أبلغتكم ما أرسلني به ربي إليكم وسيهلككم ويستخلف قوما غيركم[4]، ولا تضروه شيئا من الضرر لا قليلا ولا كثيراً، ﴿إن ربّي على كل شيء حفيظ﴾ أي رقيب، وسيجزي كلا بما كسب بعدله ورحمته. وله الحمد والمنة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان مدى مجاحدة ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.

٢ـ تشابه الفكر الشركي وأحوال المشركين إذ قول قوم هود ﴿إن نقول إلا اعتراك﴾.. الخ. يردده جهلة السلمين وهو فلان ضربه الولي الفلاني.

٣ـ مواقف أهل الإيمان واحدة فما قال نوح لقومه متحدياً لهم قاله هود لقومه.

٤ـ تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به.

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ

---

(١) في قوله: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾ علم من أعلام النبوة، إذ لا يقدر فرد أن يقول لأمّة بكاملها: افعلي بي من الشر والأذى ما تستطيعين إلاّ أن يكون نبياً عالما بقدرة الله تعالى على حفظه وحمايته، وقد وقف هذا الموقف نوح من قبل ووقفه محمد بعد صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً.

(٢) كل ما فيه روح يقال له دابّ، والتاء فيه: للمبالغة، فيقال: دابة مبالغة في الدبيب.

(٣) الناصية: ما انسدل من شعر الرأس على الجبهة، والأخذ: الإمساك، وهذا كناية عن التمكن والقدرة الكاملة على التصرف في المخلوقات.

(٤) أي: يخلق من هم أطوع لله تعالى منكم فيعبدونه ويوحدّونه.

مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا
فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات:

ولما جاء أمرنا : أي بعذابهم وهي الريح الصرر.

برحمة منا : أي بفضل منا ونعمة.

جبار عنيد : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.

ويوم القيامة : أي ولعنة في يوم القيامة.

ألا بعداً لعاد : أي هلاكاً لعاد وإبعاداً لهم من كل رحمة.

معنى الآيات:

مازال السياق في هود وقومه قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي عذابنا[1] ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا[2]﴾ أي بلطف وفضل ونعمة ﴿ونجيناهم[3] من عذاب غليظ﴾ هو عذاب يوم القيامة فهما نجاتان نجاة في الدنيا من عذاب الريح العقيم الصرر التي دمرت كل شيء بأمر ربها ونجاة من عذاب النار يوم القيامة وهي أعظم. وقوله تعالى ﴿وتلك عاد﴾ أي هذه عاد قوم هود جحدوا بآيات[4] ربهم فلم يؤمنوا وعصوا رسله أي هوداً وجمع لأن من كذب برسول كأنما كذب بكل الرسل ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد[5]﴾ أي اتبعوا أمر دعاة الضلالة من أهل الكبر والعناد للحق فقادوهم إلى سخط الله وأليم عقابه وقوله ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي اتبعهم الله غضبه وسخطه وهلاكه، ويوم القيامة كذلك وأشد. ويختم الحديث عن هذه القصة بقول الله تعالى ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ أي جحدوه فلم يعترفوا بألوهيته

---

(١) بهلاك عاد.

(٢) في صحيح مسلم قوله ﷺ: (لن ينجي أحداً منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة).

(٣) قيل: كانوا ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف نسمة ما بين رجل وامرأة.

(٤) المراد من الآيات: المعجزات وأنكروها.

(٥) العنيد والعنود، والعاند والمعاند: المعارض، المخالف.

وعباداته ﴿ألا بعداً﴾[1] أي هلاكاً لعادٍ قوم هود. فهل يعتبر مشركو قريش بهذه القصة فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا ويفلحوا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد إذ القصة كلها مسوقة لذلك.

٢- بيان سنة الله في الأولين وهي انه يبعث الرسل مبشرين ومنذرين فإن استجاب المرسل إليهم سعدوا، وإن لم يستجيبوا يمهلهم حتى تقوم الحجة عليهم ثم يهلكهم، وينجي المؤمنين.

٣- التنديد بالكبر والعناد إذ هما من شر الصفات الخلقية في الإنسان.

٤- اتباع الطغاة والظلم والكفر والفساد لا تقود إلا إلى الدمار والخسار.

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

شرح الكلمات:

وإلى ثمود : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود.

أخاهم صالحا : أي في النسب لأنه من قبيلة ثمود، بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد.

(١) والبعد: التباعد عن الخير أيضا.

واستعمركم : أي جعلكم عماراً فيها تعمرونها بالسكن والإقامة فيها.

قريب مجيب : أي من خلقه، إذ العوالم كلها بين يديه ومجيب أي لمن سأله.

مرجوا قبل هذا : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيداً فينا.

أرأيتم : أي أخبروني.

على بيّنة من ربي : أي على علم بربي علمنيه سبحانه وتعالى فهل يليق بي أن أعبد غيره.

غير تخسير : أي خسار وهلاك.

معنى الآيات:

هذه بداية قصة صالح مع قومه إذ قال تعالى مخبراً عن إرساله إلى قومه ﴿وإلى ثمود[1] أخاهم صالحا﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود بالحجر بين الحجاز والشام أخاهم في القبيلة لا في الدين صالحاً. فقال ﴿ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فناداهم بعنوان القومية جمعا لقلوبهم على ما يقول لهم فقال ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ أي آمنوا به ووحدوه في عبادته فلا تعبدوا معه أحداً. إذ ليس لكم من إله غيره. إذ هو ربكم أي خالقكم ورازقكم ومدبر أمركم. ﴿أنشأكم من الأرض﴾ أي ابتدأ خلقكم بخلق أبيكم آدم منها ﴿واستعمركم[2] فيها﴾ أي جعلكم تعمرونها بالسكن فيها والعيش عليها، إذا فاستغفروه بالاعتراف بألوهيته ثم توبوا إليه فاعبدوه وحده ولا تشركوا في عبادته أحداً. وقوله ﴿إنّ ربّي قريب مجيب﴾ أخبرهم بقرب الربّ تعالى من عباده وإجابته لسائليه ترغيبا لهم في الإيمان والطاعة، وترك الشرك والمعاصي. هذا ما تضمّنته الآية الأولى (٦١) أما الآية الثانية فقد تضمنت رد القوم عليه عليه السلام إذ قالوا بما اخبر تعالى عنهم ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ أي كنا نأمل فيك الخير ونرجو أن تكون سيداً فينا حتى فاجأتنا بما تدعونا إليه من ترك آلهتنا لإلهك ثم أنكروا عليه دعوته فقالوا ﴿أتنهانا[3] أن نعبد ما يعبد آباؤنا﴾ وأخبروه أنهم

---

(١) اختلف في صرف ثمود فمن القراء من صرفه ابداً وإلى ثمود بالجر والتنوين ومنهم من صرفه في موضع من القرآن ومنه في موضع آخر ولكل فيما رآه وجه صحيح.

(٢) استعمر بمعنى أعمر كاستجاب بمعنى أجاب أعمركم جعلكم تعمرونها فأنتم عمارها إلى نهاية آجالكم المحددة لكم، وليس هذا من باب استسهل الشيء إذا وجده سهلا واستصعبه إذا وجده صعباً فإن الله تعالى لا يعجزه شيء وفي الآية دليل على العمرى وهو أن يقول مالك لآخر أعمرتك داري فتصبح له واختلف هل تبقى لذريته بعد موته أو هي له ما دام حياً فإذا مات عادت لمن أعمره إياها مذهبان مشهوران وفي الحديث العمرى جائزة والعُمرى لمن وهبت له.

(٣) الاستفهام للإنكار.

غير مطمئنين إلى صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله تعالى فقالوا ﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ أي موقع في الريب وهو اضطراب النفس وعدم سكونها إلى ما قيل لها أو أخبرت به هذا ما تضمنه الآية الثانية (٦٢) أما الآية الثالثة (٦٣) فقد تضمنت دعوة صالح لقومه بأسلوب رفيع رغبة منه في إقامة الحجة عليهم لعلهم يؤمنون ويوحدون إذ قال بما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي﴾ أي على علم يقيني بالإيمان بربي ووجوب عبادته وتوحيده وآتاني منه رحمةً وهي النبوة والرسالة، فمن ينصرني[1] من الله إن عصيته اللهم إنه لا أحد أبداً إذاً فإنكم ما تزيدونني إن أنا أطعتكم في ترك عبادة ربّي والرضا بعبادة آلهتكم إلا خسّاراً[2] وضلالا في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وحدة الوسيلة والغاية عند كافّة الرسل فالوسيلة عبادة الله وحده، والغاية رضا الله والجنة.

٢ـ تقديم الاستغفار على التوبة في الآية سره إن المرء لا يقلع عن ذنبه حتى يعترف به.

٣ـ بيان سنة في الناس وهي أن المرء الصالح يرجى في أهله حتى إذا دعاهم إلى الحق وإلى ترك الباطل كرهوه وقد يصارحونه بما صارح به قوم صالح نبيّهم إذ قالوا ﴿قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾ .

٤ـ حرمة الاستجابة لأهل الباطل بأي نوع من الاستجابة، إذ الاستجابة لا تزيد العبد إلا خساراً.

وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ

(١) الاستفهام للنفي أي لا أحد ينصرني.

(٢) اختلف في توجيه قوله عليه السلام فما تزيدونني غير تخسير فمن قائل: غير بصيرة بخسارتكم ومن قائل التخسير لهم لا له عليه السلام وأوجه الأقوال ما في التفسير واشكل لفظ زيادة التخسير والخروج منه أنه يعرض بهم فانهمهم أنهم في خسران كقوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ ثم بشركهم يزدادون خسراناً وتخسيراً أعظم.

أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

آية : أي علامة على صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله.

فذروها تأكل في أرض الله : أي اتركوها ترعى في المراعي غير المحميّة لأحد،

بسوء : أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب منه.

فعقروها : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف.

تمتعوا في دياركم : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتتمتعون في الحياة ثلاثة أيام.

وعد غير مكذوب : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به.

في ديارهم جاثمين : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم.

كأن لم يغنوا فيها : أي كأن لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يوما.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن صالح وقومه. إنه لما دعاهم صالح إلى توحيد الله تعالى كذبوه وطالبوه بما يدل على صدق مَا دَعَا إليهِ فأجابهم صالح بما أخبر تعالى به في هذه الآية ﴿وياقوم[1] هذه ناقة الله لكم آية﴾ وذلك أنهم سألوا أن يخرج لهم ناقة من جبل أشاروا

(١) هذه ناقة الله لكم آية مبتدأ وخبر وآية منصوب على الحال.

إليه فدعا صالح ربّه فاستجاب الله تعالى له وتمخض الجبل عن ناقة عشراء هي عجب في خلقتها وكمالها فقال عندئذ ﴿ياقوم هذه ناقة الله﴾ أضافها إلى الله لأنها كانت بقدرته ومشيئته ﴿لكم آية﴾ أي علامة لكم على صدق ما دعوتكم إليه من عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فذروها[1] تأكل في أرض الله أي خلّوها تأكل من نبات الأرض من المراعي العامة التي ليست لأحد، ولا تمسوها بسوء كعقرها أو ذبحها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب[2] قد لا يتأخر أكثر من ثلاثة أيام. فكذبوه فعقروها فلما رأى ذلك قال لهم بأمر الله ﴿تمتعوا في داركم[3] ثلاثة أيام﴾ أي عيشوا فيها. ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أي ذلك الوعد وعد صادق غير مكذوب فيه. هذا ما دلت عليه الآيتان (٦٤- ٦٥) وقال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي لما اكتملت المدة التي حُددت لهم وجاء أمر الله بعذابهم نجى الله تعالى رسوله صالحاً والمؤمنين برحمة منه أي بلطف ونعمة منه عز وجل وقوله ﴿ومن خزي[4] يومئذ﴾ أي ونجاهم من ذل ذلك اليوم وعذابه، وقوله ﴿إن ربّك قوي عزيز﴾ أي إن ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم قوي إذا بطش عزيز غالب لا يُغلب على أمر يريده. هذا ما دلت عليه الآية الثالثة (٦٦) وأما الآيتان بعد فقد أخبر تعالى فيهما عن هلاك ثمود بقوله ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة[5] فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي إنّ الذين أشركوا بربهم وكذبوا بآياته أخذتهم الصيحة فانخلعت لها قلوبهم فهلكوا وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم كأن لم يغنوا بديارهم ولم يعمروها قال تعالى ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربّهم ألا بعداً لثمود﴾ أي هلاكاً لثمود، وبهذا التنديد والوعيد بعد الهلاك والعذاب المخزي انتهت قصة صالح مع قومه ثمود الذين آثروا الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- إعطاء الله تعالى الآيات للمطالبين بها لا يستلزم الإيمان بها.

---

(١) ذروها أمر، وماضيه وذر شاذ وكذا اسم الفاعل فلا يقال وذر فهو واذر، والمستعمل منه المضارع والأمر لا غير. ومعناه ترك وبه استغنى عن وذر.

(٢) أي من يوم قتلها وهو كذلك فلم يتأخر.

(٣) ليتمتع كل واحد منكم في داره عن ثلاثة أيام إذ عقروا الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة وأصبحوا يوم الجمعة وهو اليوم الثاني من أيام التمتع في ديارهم ووجوههم محمرة وأصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة وأخذوا صباح الأحد.

(٤) من فضيحته وذلته وقرأ نافع بنصب يومئذ وقرأ غيره بكسرها على الإضافة.

(٥) جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض فخروا على الأرض جاثمين جثوم الطير على الأرض إذا الصقت بطونها بها وسكنت لا تتحرك.

٢ـ آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات ولم يؤمن عليها قومه .
٣ـ إقامة ثلاثة أيام لا يعد صاحبها مقيما وعليه أن يقصر الصلاة .
٤ـ شؤم الظلم وسوء عاقبة أهله .

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

بالبشري : أي باسحاق ومن وراء اسحق يعقوب .
فما لبث : أي ما أبطأ .
بعجل حنيذ : أي مشوي على الحجارة .
لا تصل إليه : أي لم يتناولوه فيأكلوا منه .
نكرهم : أي لم يعرفهم .
وأوجس : أي أحس بالخوف وشعر به .
لوط : هو ابن هاران أخي ابراهيم عليه السلام .
ياويلتا : أي ياويلتي احضري هذا أوان حضورك .
وهذا بعلي شيخا : إشارة إلى ابراهيم إذ هو بعلها أي زوجها .
إن هذا لشيء عجيب : أي أمر يتعجب منه استبعاداً له واستغراباً .

معنى الآيات:

هذه بشارة ابراهيم عليه السلام التي بشره الله تعالى بها إذ قال تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى[1]﴾ والمراد بالرسل جبريل وميكائيل واسرافيل، إذ دخلوا عليه داره فسلموا عليه فرد عليهم السلام وهو معنى قوله تعالى ﴿قالوا[2] سلاماً فقال سلام﴾ وقوله تعالى ﴿فما لبث أن[3] جاء بعجل حنيذ﴾ أي لم يبطأ حتى جاء[4] بعجل مشوي فحنيذ بمعنى محنوذ وهو المشوي على الحجارة. فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل بقوله ﴿ألا تأكلون[5]﴾ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لم يتناولوه نكرهم بمعنى أنكرهم وأوجس منهم خيفة لأن العادة أن الضيف إذا نزل على أحد فقدم إليه طعاماً فلم يأكل عرف انه ينوي شراً ولما رأت الملائكة ذلك منه قالوا له لا تخف وبينوا له سبب مجيئهم فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لإهلاكهم وتدميرهم بسبب إجرامهم. وكانت امرأته قائمة وراء الستار تخدمهم مع ابراهيم. فلما سمعت بنبأ هلاك قوم لوط ضحكت فرحاً بهلاك أهل الخبث فعندئذ بشرها الله تعالى على لسان الملائكة باسحق ومن بعده يعقوب أي بولد وولد ولد، فلما سمعت البشرى صكت وجهها تعجبا على عادة النساء وقالت ﴿ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي﴾ تشير إلى زوجها ابراهيم ﴿شيخا﴾ أي كبير السن إذ كانت سنه يومئذ مائة سنة وسنها فوق التسعين. ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ أي ولادتي في هذه السن أمر يتعجب منه. قالوا أتعجبين من أمر[6] الله ﴾رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أي بيت ابراهيم، ﴿إنه حميد مجيد﴾ أي محمود بإفضاله وإنعامه عليكم ﴿مجيد﴾ أي ذو مجد وثناء وكرم.

وامرأة ابراهيم المبشرة هي سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام، والبشارة هنا لابراهيم وزوجه سارة معاً وهي مزدوجة إذ هي بهلاك الظالمين، وباسحاق ويعقوب.

---

(١) قيل ان البشرى كانت بإسحاق وقيل بإهلاك قوم لوط والظاهر أنها بإسحق.

(٢) سلاماً نصب بوقوع فعل قالوا نحو قال فلان خيراً ويجوز عربيّة الرفع والنصب في قوله تعالى ﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾، والرفع يكون على تقدير مبتدأ أي هو سلام، وسلام عليكم وجاز الابتداء بالنكرة لكثرة تكرار هذا اللفظ نظيره لا هم حيث حذفوا الألف واللام لكثرة استعمال اللهم.

(٣) إن هنا بمعنى حتى قاله كبراء النحو أي فما لبث حتى جاءهم.

(٤) في الآية دليل على فضل الضيافة ومشروعيتها والندب إليها إذ هي من خلق البشر وفي الحديث، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والضيافة ثلاثة أيام.

(٥) ذكر الطبري رحمه الله تعالى أن ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل وقال للملائكة ألا تأكلون! قالوا لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال كلوه بثمنه قالوا وما ثمنه؟ قال أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل لاصحابه حق للرجل أن يتخذه ربه خليلا.

(٦) من أمر الله أي قضائه وقدره.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له ولو بالرؤيا الصالحة .

٢ـ مشروعية السلام[1] لمن دخل على غيره أو وقف عليه أو مرّ به ووجوب رد السلام .

٣ـ مشروعية خدمة أهل البيت[2] لضيوفهم ووجوب إكرام الضيف وفي الحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» .

٤ـ شرف أهل بيت ابراهيم عليه السلام .

فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

الروع[3] : الفزع والخوف .

البشرى : أي الخبر السار المفرح للقلب .

يجادلنا : أي يخاصمنا .

في قوم لوط : أي في شأن هلاك قوم لوط ، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران بن عم ابراهيم .

حليم أواه : الحليم الذي لا يعامل بالعقوبة والأواه كثير التأوه مما يسيء ويحزن .

أعرض عن هذا : أي اترك الجدال في قوم لوط .

---

(١) في الآية دليل على أن لفظ السلام ينتهي بكلمة وبركاته .

(٢) في الآية دليل على أن امرأة الرجل تعد من أهل بيته .

(٣) يقال ارتاع يرتاع من كذا إذا خاف قال النابغة .

فارتاع من صوت كلاّب فبات له   طوع الشوامت من خوف ومن ضرر

الشاعر يصف ثوراً وحشياً والكلاب : صاحب الكلاب .

غير مردود : أي لا يستطيع أحد رده لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن بشارة ابراهيم قال تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الفزع والخوف من الملائكة قبل أن يعرفهم وجاءته البشرى بالولد وبهلاك قوم لوط أخذ يجادل الملائكة في شأن هلاك قوم لوط لأجل ما بينهم من المؤمنين فقال إن فيهـا لوطاً فأجابوه بقولهم الذي ذكر تعالى في سورة العنكبوت ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وقوله تعالى ﴿إن ابراهيم لحليم أواه منيب﴾[1] تعليل لمجادلة ابراهيم الملائكة في قوم لوط، وذلك أن إبراهيم رقيق القلب حليم لا يعامل بالعقوبة فأراد تأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون، وكان أواهاً ضارعا قانتا يكثر من قول آه إذا رأى أو سمع[2] ما يسوء ومنيباً أي توابا رجاعاً إلى ربّه في كل وقت. ولما الحّ ابراهيم في مراجعة الملائكة قالوا له يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال إنه قد جاء[3] أمر ربك أي بهلاك القوم. ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ أي غير مدفوع من أحد وهو ما سَيُذْكَرُ في السياق بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الجدال عمن يُرجى له الخير من الناس، وذلك في غير الحدود الشرعية إذا رفعت إلى الحاكم.

٢ـ فضيلة خلق الحلم.

٣ـ فضل الإنابة إلى الله تعالى.

٤ـ قضاء الله لا يرد أي ما حكم الله به لابد واقع.

---

(١) المنيب: الراجع يقال أناب إذا رجع وابراهيم كان راجعاً إلى ربه في أموره كلها والأواه الكثير لقول أوّه وأواه اسم فعل. نائب مناب اتوجع.

(٢) جائز أن يكون هذا وحياً أوحاه الله تعالى إلى ابراهيم وجائز أن يكون قول الملائكة، وأمر الله قضاؤه بإهلاك قوم لوط.

(٣) في هذا دليل على رحمة ابراهيم القلبية فما أن يرى أو يسمع ما يضر أو يسيء إلاّ أخذ في التأوه والتحسر والتحزن، وقيل اسم ابراهيم مركب من كلمتين: أب رحيم، وظهر هذا في سلوكه ورحمته.

وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات:

سيء بهم : أي حصل له غم وهم بمجيئهم إليه.

وضاق بهم ذرعا[1] : أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر.

يوم عصيب : أي شديد لا يحتمل.

يهرعون إليه : أي مدفوعين بدافع الشهوةيمشون مسرعين في غير اتزان.

السيئات : أي كبائر الذنوب بإتيان الذكور.

ولا تخزون في ضيفي : أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي.

رجل رشيد : أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمور وعواقبها.

أو آوي إلى ركن شديد : أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم. ولم تكن له عشيرة لأنه من غير ديارهم.

معنى الآيات:

هذه فاتحة حديث لوط عليه السلام مع الملائكة ثم مع قومه قال تعالى ﴿ولما جاءت

---

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه، ويقال ضاق وسعه وطاقته وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه فإذا عمل عليه أكثر من طوقه ضاق عن ذلك وضعف ومد عنقه فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع.

رسلنا﴾ وهم ضيف إبراهيم عليه السلام ﴿لوطاً سيىء بهم﴾ أي تضايق وحصل له هم وغم خوفا عليهم من مجرمي قومه. وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما قد يحدث فيه من تعرض ضيفه للمذلة والمهانة وهو بينهم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٧) أما الثانية (٧٨) فقد أخبر تعالى عن مجيء قوم لوط إليه وهو في ذلك اليوم الصعب والساعة الحرجة فقال عز وجل ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾[1] أي مدفوعين بدافع الشهوة البهيمية مسرعين ومن قبل[2] كانوا يعملون السيئات أي من قبل مجيئهم كانوا يأتون الرجال في أدبارهم فأراد أن يصرفهم عن الضيف فقال ﴿ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾[3] أي هؤلاء نساء الأمة هن أطهر لكم فتزوجوهن. واتقوا الله أي خافوا نقمته ولا تخزوني في ضيفي أي لا تهينوني ولا تذلوني فيهم. أليس منكم رجل رشيد؟ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فأجابوه لعنهم الله قائلين: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من رغبة وحاجة،[4] وإنك لتعلم ما نريد أي من إتيان الفاحشة في الرجال. وهنا قال لوط عليه السلام: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أي أنصاراً ينصرونني وأعواناً يعينونني لحلت بينكم وبين ما تشتهون، أو آوي إلى ركن شديد يريد عشيرة قوية يحتمي بها فتحميه وضيفه من قومه المجرمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة إكرام الضيف وحمايته من كل ما يسوءه.

٢ـ فظاعة العادات السيئة وما تحدثه من تغير في الإنسان.

٣ـ بذل ما يمكن لدفع الشر لوقاية لوط ضيفه ببناته.[5]

٤ـ أسوأ الحياة أن لا يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٥ـ إظهار الرغبة في القوة لدفع الشر وإبعاد المكروه ممدوح.

---

(١) الاهراع السرعة في المشي مع رعدة. يقال أهرع الرجل إهراعاً إذا أسرع في رعدة من برد أو غضب او حُمّى فهو مهرع وفعله على صيغة المبني للمجهول دائما لأن أصله من مشى الأسير الذي يسرع به.

(٢) جائز أن يكون من قبل مجيء لوط إليهم، وجائز أن يكون من قبل مجيء الضيف وهم الرسل عليهم السلام.

(٣) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم الآية من سورة الأحزاب.

(٤) قيل أنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهم بهن إذ سنتهم أن الرجل إذا خطب امرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وما في التفسير أوجه.

(٥) هذا بناء على أن المراد من قوله هؤلاء بناتي: إنهن بناته لصلبه لا بنات أمته وحتى ولو كان المراد بنات القوم فإن فيه معنى دفع الشر بشر أخف.

قَالُوا۟

يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ
وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

فأسر بأهلك : أي اخرج بهم من البلد ليلا .

بقطع من الليل : أي بجزء وطائفة من الليل .

الصبح : هو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

جعلنا عاليها : أي عالي القرية سافلها .

من سجيل : أي من طين متحجر .

منضود : أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام .

مسومة : أي معلمة بعلامة خاصة .

عند ربك : أي معلمة من عند الله تعالى .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عن ضيف لوط مع قومه إنه بعد أن اشتد بلوط الخوف وتأسف من عدم القدرة على حماية الضيف الكريم وقال متمنيا لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. هنا قالت له الملائكة(1) ﴿يالوط إنا رسل ربك إليك لنُنَجيَنَّكَ ونهلك قومك لن

(١) أي بعد أن رأت حزنه واضطرابه .

يصلوا إليك أي بأي سوء أو بأدنى أذى فأسر[1] بأهلك أي فاخرج بهم بقطع من الليل أي بطائفة وجزء من الليل ولا يلتفت[2] منكم أحد كراهة أن يرى ما ينزل بالقوم من العذاب فيصيبه كرب من ذلك إلا امرأتك وهي عجوز السوء فخلفها في القرية وإن خرجت دعها تلتفت فإنها مصيبها ما أصابهم. وسأل لوطٌ عن موعد نزول العذاب بالقوم فقالوا إن موعدهم الصبح، وكان لوطُ قد استبطأ الوقت فقالوا له: أليس الصبح بقريب؟ وقوله تعالى: ﴿فلما جآء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾[3] أي فلما جاء أمر الله بعذاب القوم أمر جبريل عليه السلام فقلبها على أهلها فجعل عالي القرية سافلها، وسافلها عاليها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل فمن كان خارج القرية أصابه حجر فأهلكه وقوله تعالى ﴿منضود مسومة﴾ أي مركب بعضها فوق بعض معلمة كل حجر عليها اسم من يرمى به، وقوله ﴿عند ربك﴾ أي معلمة من عند ربك يارسول الله، وما هي من الظالمين ببعيد أي وما تلك القرية الهالكة من الظالمين وهم مشركو العرب ببعيد، أو وما تلك الحجارة التي أهلك بها قوم لوط ببعيد نزولها بالظالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- استحباب السير في الليل لما فيه من البركة بقطع المسافات البعيدة بدون تعب.

٢- كراهة التأسف لهلاك الظالمين.

٣- مظاهر قدرة الله تعالى في قلب أربع مدن في ساعة فكان الأعلى أسفل والأسفل أعلى.[4]

٤- وعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

---

(١) فأسر بقطع الهمزة واسر بوصلها قراءتان سبعيتان وقيل يقال أسرى إذا مشى أول الليل، وسرى يسري إذا مشى آخر الليل.

(٢) ألا ينظر وراءه منكم أحد، أولا يتخلف منكم أحد، أولا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع وما في التفسير أوجه والا امرأتك بالنصب على الاستثناء أي فأسر بأهلك إلا امرأتك فاتركها فإنها من الغابرين أي الهالكين.

(٣) جعلنا عاليها سافلها قيل أن جبريل ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس، سدوم وعامورا ودادوما وضعوه و قتم فرفعها من تخوم الأرض حتى ادناها من السماء بما فيها.

(٤) في الآية بيان عقوبة من عمل عمل قوم لوط وهي الارسال من أعلى جبل ثم الرمي بالحجارة وهذا مذهب أبي حنيفة. وعند الشافعي أن يقتل الفاعل والمفعول به سواء من احصن ومن لم يحصن، وقيل غير المحصن يجلد، وفي الحديث (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به).

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي أرسلنا إلى مدين[1] إلى أهل مدين.

المكيال والميزان : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان.

عذاب يوم محيط : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم.

بالقسط : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع والشراء على حد سواء.

ولا تبخسوا : أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك.

ولا تعثوا في الأرض : أي ولا تعثوا في الأرض بالفساد.

بقية الله خير لكم : أي ما يبقى لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من الحرام الذي حرم الله عليكم.

وما أنا عليكم بحفيظ : أي رقيب أراقب وزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير.

---

(١) مدين أبو القبيلة وهو مدين بن ابراهيم عليهما السلام وكان متزوجاً بإحدى بنات لوط عليه السلام.

معنى الآيات:

هذا بداية قصص شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين قال تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم في النسب شعيباً. ﴿قال يا قوم[1] اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أي وحّدوا الله تعالى ليس لكم إله تعبدونه بحق إلا هو إذ هو ربكم الذي خلقكم ورزقكم ويدبر أمركم. وقوله ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي لا تنقصوا المكيال إذا كلتم لغيركم، والميزان إذا وزنتم لغيركم. وقوله ﴿إني أراكم بخير﴾ أي في رخاء وسعة من الرزق، ﴿واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط[2]﴾ إن أصررتم على الشرك والنقص والبخس[3] وهو عذاب يحيط بكم فلا يفلت منكم أحد. وقوله ﴿ياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أمر بتوفية المكيال والميزان بالعدل بعد أن نهاهم عن النقص تأكيدا لما نهاهم عنه وليعطف عليه نهيا آخر وهو النهي عن بخس الناس أشياءهم إذ قال ﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي تنقصوهم حقوقهم وما هو لهم بحق من سائر الحقوق. ونهاهم عما هو أعم من ذلك فقال ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد وهو شامل لكل المعاصي والمحرمات. وقوله ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم[4] مؤمنين﴾ أي وما يبقى لكم بعد توفية الناس حقوقهم خير لكم مما تأخذونه بالنقص والبخس لما في الأول من البركة ولما في الثاني من المحق إن كنتم مؤمنين بشرع الله ووعده ووعيده وقوله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب مُحصرٍ عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أناواعظ لكم ناصح ليس غير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وحدة دعوة الرسل وهي البداية بتوحيد الله تعالى أولا ثم الأمر والنهي لإكمال الإنسان

---

(١) ناداهم بعنوان القومية، لأنّ القومي عادة لا يخون قومه وأرشدهم إلى ما يلي:
أـ عبادة الله وحده وفيه إصلاح عقائدهم وبصلاح عقائدهم تصلح جميع أمورهم.
ب ـ صلاح أعمالهم في تصرفاتهم في أمور دنياهم.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد اصرارهم على الشرك والعصيان وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

(٣) في الحديث: ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء

(٤) قال مجاهد: بقية الله خير لكم يريد طاعته، وقال الربيع: وصية الله وقال الفراء: مراقبة الله وقال ابن زيد: رحمة الله، وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: حظكم من ربكم خير لكم. كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

وإسعاده بعد نجاته من الخسران.
٢ـ حرمة نقص الكيل والوزن أشد حرمة.[١]
٣ـ وجوب الرضا بالحلال وإن قل، وسخط الحرام وإن كثر.
٤ـ حرمة بخس الناس حقوقهم كأجور العمال، وأسعار البضائع ونحو ذلك.
٥ـ حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى.

قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾
وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات:

أصلاتك[٢] : أي كثرة الصلاة التي تصليها هي التي أثرت على عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا.

---

(١) وشاهده من القرآن ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾.

(٢) قُرِئ بالافراد أصلاتك وبالجمع أصلواتك، والمعنى واحد إذ الافراد اسم جنس شمل كل صلاة له فهو كالجمع.

الحليم الرشيد	: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به.
أن أخالفكم	: أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله بعدكم.
إن أريد إلا الإصلاح	: أي ما أريد إلا الإصلاح لكم.
وما توفيقي إلا بالله	: أي وما توفيقي للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليّ
وإليه أنيب	: أي ارجع في أمري كله.
لايجرمنكم شقاقي	: أي لاتكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل بقوم نوح والأقوام من بعدهم.
وما قوم لوط منكم ببعيد	: أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي هي بين معان والأردن.
رحيم ودود	: أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين إنه لما أمرهم بعبادة الله تعالى وحده ونهاهم نقص الكيل والوزن وبخس الناس أشياءهم والسعي في الأرض بالفساد، إذ كانوا يكسرون الدراهم وينشرونها ويقطعون الطريق. فردوا عليه قوله بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾[1]؟ إنهم بهذا الخطاب ينكرون عليه نهيه لهم عن عبادة الأوثان والأصنام التي كان يعبدها آباؤهم من قبلهم كما ينكرون عليه نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم وأمره إياهم بالتزام الحق والعدل في ذلك، ينكرون عليه نهيه لهم وأمره إياهم وينسبون ذلك إلى كثرة صلاته فهي التي في نظرهم قد أصابته بضعف العقل وقلة الادراك، وقولهم له ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ إنما هو تهكم[2]

(١) روي أنهم كانوا يحذفون الدراهم أي يقطعونها من أطرافها وهو تصرف فاسد ظالم حملهم عليه حب الدنيا والمال.

(٢) هو كقول خزنة جهنم لأبي جهل: ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل إنهم وصفوه بالحلم والرشد لمعرفتهم بحلمه ورشده ولم يكن تهكماً واستهزاء منهم. وجائز أن يكون هذا وذاك إذ ما بعد الكفر ذنب كما يقال.

واستهزاء منهم لا انهم يعتقدون حلم شعيب ورشده وإن كان في الواقع هو كما قالوا حليم رشيد إذ الحليم هو الذي لا يحمله الغضب أن يفعل مالا يفعله في حال الرضا والرشيد خلاف السفيه الذي لا يحسن التصرف في المال وغيره هذا ما تضمنته الآية الأولى (٨٧) وأما الآيات الثلاث بعدها فقد تضمنت رد شعيب عليه السلام على مقالتهم السابقة إذ قال ﴿ياقوم أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن كنت على بيّنة من ربي﴾ أي على برهان وعلم يقيني بألوهيته ومحابه ومساخطه ووعده لأوليائه ووعيده لأعدائه، ورزقني منه رزقاً حسنا أي حلالا طيبا أخبروني فهل يليق بي أن أتنكر لهذا الحق والخير وأُجَارِيكُمْ على باطلكم. اللهم لا، وشيء آخر وهو أني ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فإني لا آمركم بتوفية الكيل والوزن وأنقصها ولا بترك عبادة الأوثان وأعبدها، ولا أنهاكم عن كسر الدراهم[1] وأكسرها فأكون كمن يأمر بالشيء ولا يفعله، وينهى عن الشيء ويفعله فيستحق اللوم والعتاب ونزع الثقة منه، وعدم اعتباره فلا يؤخذ بقوله ولا يعمل برأيه. وأمر آخر هو أني ما أريد بما أمرتكم به ولا بما نهيتكم عنه إلا الإصلاح لكم ما استطعت ذلك وقدرت عليه. وما توفيقي في ذلك إلا بالله ربّي وربكم عليه توكلت في أمري كله وإليه وحده أنيب أي أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة. ثم ناداهم محذراً إياهم من اللجاج والعناد فقال: وياقوم لا يجرمنكم أي لا يحملنكم شقاقي أي خلافي على الاستمرار في الكفر والعصيان فيصيبكم عذاب مثل عذاب قوم نوح وهو الغرق أو قوم هود وهو الريح المدمرة أو قوم صالح وهو الصيحة المرجفة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزمن والمكان وقد علمتم ما حل بهم من دمار وخراب. أي لا يحملنكم شقاقي وعداوتي على أن ينزل بكم العذاب، واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي، ثم توبوا إليه بالطاعة، ﴿إن ربّي رحيم﴾ لا يعذب من تاب إليه ودود[2] يحب من أناب إليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التعريض القريب يُعطي حكم القذف الصريح.

٢ـ كراهية إتيان الشيء بعد النهي عنه، وترك الشيء بعد الأمر به والحث عليه.

---

(١) لا خلاف في أن من كسر الدراهم أو بردها ليأخذ منها قد أفسد واقترف ما يستوجب العقوبة وهل هي ضرب وتعزير أو قطع يد خلاف وما يراه الحاكم كافياً في الردع اجزأ ولا فرق في الكسر والبرد بين الدنانير والدراهم.

مأخوذ من قول قوم شعيب له: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ وهم يعنون الأحمق السفيه. فمن قال لرجل في حال النزاع أنت الطيب الطاهر فإنه يعرض به بأنه الخبيث الزاني فيحد حد القذف.

٣- كراهية اللجاج والعناد لمايمنع من الاعتراف بالحق والالتزام به .

٤- وجوب الاستغفار والتوبة من الذنوب

٥- وصف الرب تعالى بالرحمة والمودة .

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

شرح الكلمات :

ما نفقه : أي ما نفهم بدقة كثيرا من كلامك .

ولولا رهطك : أي أفراد عشيرتك .

وما أنت علينا بعزيز : أي بقوي ممتنع .

ظهرياً[1] : أي لم تأبهوا به ولم تلتفتوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر.

(١) الظهري نسبة إلى الظهر على غير قياس وهو منصوب على الحال المؤكدة.

على مكانتكم	: أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة.
الصيحة	: أي صيحة العذاب التي أخذتهم.
جاثمين	: أي على ركبهم.
كأن لم يغنوا فيها	: أي كأن لم يقيموا بها يوماً.
ألا بعداً لمدين	: أي هلاكاً لمدين قوم شعيب.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن شعيب وقومه إنه بعد الحوار الذي دار بين شعيب وقومه يقول ويقولون وكان عليه السلام فصيحاً مؤيداً من الله تعالى فيما يقول فأفحمهم وقطع الحجة عليهم لجأوا إلى أسلوب القوة والتهديد بل والشتم والإهانة وكان هذا منهم إيذاناً بقرب ساعة هلاكهم فقالوا فيما قص تعالى عنهم في هذه الآيات ﴿ياشعيب[1] ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ فقد نادوه ليسمع منهم ثم أعلموه أنهم لايفقهون كثيراً من كلامه مع أنه يخاطبهم بلغتهم، ولكنه الصلف والكبرياء فإن صاحبها لا يفهم مايقوله الضعفاء. وقالوا له: وإنا لنراك فينا ضعيفاً وهو احتقار منهم له، وقالوا: ولولا رهطك لرجمناك[2] أي ولولا وجود جماعة من عشيرتك نحترمهم لرجمناك أي لقتلناك رمياً بالحجارة، وأخيراً وما أنت علينا بعزيز أي بممتنع لو أردناك. وهنا رد شعيب عليه السلام عليهم بقوله فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال يا قوم أ رهطي[3] أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أي غير مبالين بأمره ولا نهيه كما جعلتموه وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تسمعون منه ولا تطيعونه، يا ويلكم ﴿إن ربّي بما تعملون محيط﴾ أي علمه فأعمالكم معلومة له لا يخفى منها عليه شيء ولسوف يجزيكم بها عاجلا أو آجلا وقابل تهديدهم له بمثله فقال لهم ﴿وياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على تمكنكم من عملكم ﴿إني عامل﴾ أي على تمكني من العمل الذي أعمله ﴿سوف تعلمون بعد من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويهينه ومن هو كاذب منا فيعذب ويخزئ ويذل ويهان أيضا وعليه فارتقبوا يومذاك ﴿ وارتقبوا فإني

---

(١) الاستفهام: انكاري.

(٢) إما أن يكون قولهم هذا استخفافاً وتجاهلاً منهم وإما أن يكون ثقل عليهم فهم البعث الآخر والحساب فيه والجزاء بالجنة والنار.

(٣) رهط الرجل عشيرته وقولهم لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجماً بالحجارة إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سباً وشتماً كما قال الشاعر:

تراجمنا بمُر القول حتى نصير كأننا فرسا رهان

معكم رقيب﴾ منتظر قال تعالى ﴿ولما جاء أمرنا﴾ أي بالعذاب نجيّنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي بفضل منا ونعمة من عندنا، ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ أي بالشرك والعصيان ﴿الصيحة﴾ أي صيحة العذاب[1] التي ارتجفت لها قلوبهم وانخلعت فبركوا على ركبهم جاثمين هلكي لا يتحركون. قال تعالى في بيان حالهم ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأن لم يقيموا في تلك الديار ويعمروها زمنا طويلا. ثم لعنهم فقال: ﴿ألا بعداً لمدين﴾ بعداً لها من الرحمة وهلاكاً، كما بعدت[2] قبلها ثمود وهلكت.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان ما أوتي نبي الله شعيب العربي من فصاحة وبيان حتى قيل فيه خطيب الأنبياء.

٢ـ اشتداد الأزمات مؤذن بقرب انفراجها.[3]

٣ـ بيان فساد عقل من يهتم بتنفيذ أوامر الناس ويهمل أوامر الله تعالى ولا يلتفت إليها.

٤ـ فضل انتظار الفرج من الله تعالى وهو الرجاء المأمور به.

٥ـ صدق وعد الله رسله وعدم تخلفه أبداً.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

---

(١) قيل كانت الصيحة صيحة جبريل عليه السلام والله أعلم.

(٢) قرأ السلمي بعدت بضم العين ووجه بأنه لغة وتستعمل في الخير وفي الشر وأما بعدت بكسر العين فإنها في الشر خاصة يقال بعد يبعد بعداً كفرح يفرح فرحاً إذا أبعد وهلك.

(٣) شاهده من القرآن ﴿إن مع العسر يسرا﴾.

شرح الكلمات:

موسى : هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني اسرائيل.

بآياتنا : هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف.

وسلطان مبين : أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها.

وملئه : أي أشرف رجال دولة فرعون.

وما أمر فرعون برشيد : أي بذي رشد بل هو السفه كله.

يقدم قومه : أي تقدمهم إلى النار فأوردهم النار.

بئس الورد المورود : أي قبح وساء ورداً يورد النار.

وأتبعوا في هذه لعنة : أي ألحقتهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم.

بئس الرفد المرفود : أي قبح الرفد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى لهم. والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

معنى الآيات:

هذه لمحة خاطفة لقصة موسى عليه السلام مع فرعون تضمنتها أربع آيات قصار قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي بعد إرسالنا[1] شعيباً إلى أهل مدين أرسلنا موسى بن عمران مصحوباً بآياتنا[2] الدالة على إرسالنا له وصدق ما يدعوا إليه ويطالب به وسلطان مبين[3] أي أي وحجة قوية ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى وبطلان أولوهية من عداه كفرعون عليه لعائن الله ﴿إذ قال ما علمت لكم من إله غيري﴾ وقوله تعالى ﴿إلى فرعون وملئه﴾ أرسلناه بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وأشراف جنده وزعماء دولته فأمرهم موسى باتباع الحق وترك الباطل فأبوا واتبعوا أمر فرعون فأضلهم. ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ حتى يهدي إلى الفلاح من اتبعه. قال تعالى ﴿يقدم قومه[4] يوم القيامة﴾ أي يتقدمهم إلى النار فيوردهم حياضها ﴿وبئس الورد المورود﴾ أي نار جهنم قوله تعالى ﴿واتبعوا في هٰذه لعنة﴾ أي فرعون وقومه لعنوا في الدنيا، ويوم القيامة يلعنون أيضا ﴿فبئس الرفد المرفود[5]﴾ وهما لعنة الدنيا ولعنة الآخرة، والرفد العون والعطاء والمرفود به هو المعان به والمعطى لمن

(١) تابع الحق عز وجل إرسال الرسل بياناً للمحجة وإقامة للحجة.

(٢) التوراة والمعجزات أيضاً إذ كلاهما آيات.

(٣) هي العصا فإنها أكبر برهان وأعظم حجة وأقوى سلطان.

(٤) يقال قدمه يقدمه إذا تقدمه وأما قدم يقدم فإنه بمعنى أتى وجاء ووفد.

(٥) رفده يرفده رفداً إذا أعانه وأعطاه واسم العطية الرفد بكسر الراء وسكون الفاء.

يرفد من الناس.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ من كتب الله شقاءه لا يؤمن بالآيات بل يردها ويكذب بها حتى يهلك.
٢ـ قوة الحجج وكثرة البراهين لا تستلزم إذعان الناس وإيمانهم.
٣ـ التحذير من اتباع رؤساء الشر وأئمة الفساد والضلال.
٤ـ ذم موارد الباطل والشر والفساد.
٥ـ شر المعذبين من جمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات:

ذلك: الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة.

من أنباء القرى: أي أخبار أهل القرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون.

منها قائم وحصيد: منها مدن بقيت آثارها كمدائن صالح، ومنها مدن لم يبق منها شيء كديار عاد.

التي يدعون: أي يعبدونها بالدعاء وغيره كالذبح لها والنذور والحلف بها.

غير تتبيب: أي تخسير وهلاك.

إذا أخذ القرى : أي عاقبها بذنوبها .
أليم شديد : أي موجع شديد الإيجاع .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة ماقص من أخبار الأمم السابقة خاطبه قائلا ﴿ذلك﴾[1] أي ما تقدم في السياق ﴿من أنباء القرى﴾ أي أهلها نقصه عليك تقريراً لنبوتك وإثباتاً لرسالتك وتثبيتاً لفؤادك وتسلية لك. وقوله تعالى ﴿منها قائم وحصيد﴾[2] أي ومن تلك القرى البائدة منها آثار قائمة من جدران وأطلال، ومنها ما هو كالحصيد ليس فيه قائم ولا شاخص لاندراسها وذهاب آثارها. وقوله تعالى ﴿وماظلمناهم﴾ بإهلاكنا إياهم ولكن هم ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي والمجاحدة لآياتنا والمكابرة لرسولنا. وقوله تعالى ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون . من دون الله من شيء[3]﴾ أي لم تغن عنهم أصنامهم التي اتخذوها آلهة فعبدوها بأنواع العبادات من دعاء ونذر وذبح وتعظيم إذ لم تغن عنهم شيئاً من الإغناء ﴿لما جاء أمر ربك﴾ بعذابهم ﴿وما زادوهم غير تتبيب[4]﴾ أي تخسير ودمار وهلاك. ثم في الآية الأخيرة قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ أي وكذلك الأخذ المذكور أخذ ربك ﴿إذا أخذ القرى﴾ أي العواصم والحواضر بمن فيها والحال[5] أنها ظالمة بالشرك والمعاصي. ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ أي ذو وجع شديد لا يطاق فهل يعتبر المشركون والكافرون والظالمون اليوم فيترك المشركون شركهم والكافرون كفرهم والظالمون ظلمهم قبل أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم؟.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير نبوة محمد ﷺ ونشر رسالته وتسليته بما يقص الله عليه من أنباء السابقين.

---

(١) ذلك مبتدأ أي ذلك النبأ المتقدم من أنباء القرى ونقصه في محل رفع خبر ورجح أن يكون ذلك خبراً والمبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك.

(٢) شاهده من قول الشاعر:

والناس في قسم المنية بينهم ... كالزرع منه قائم وحصيد

(٣) من شيء نكرة في سياق النفي ومؤكده بمن الزائدة فدل هذا على أن آلهتهم لم تدفع عنهم ما أراد الله بهم من الهلاك أدنى شيء.

(٤) شاهده في قول لبيد:

فلقد بليت وكل صاحب جدة ... يبلى يعود وذاكم التتبيب

أي التخسير والتباب الهلاك والخسران.

(٥) قوله وهي ظالمة الجملة في محل نصب حال من المفعول.

٢- تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.
٣- آلهة المشركين لم تغن عنهم عند حلول النقمة بهم شيئا.
٤- التنديد بالظلم وسوء عاقبة الظالمين.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي
النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات:

لآية : أي علامة على أن الذي عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة.

يوم مشهود : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة.

إلا لأجل معدود : أي أجل الدنيا المعدود الأيام والساعات.

إلا بإذنه : أي إلا بإذن الله تعالى.

شقي وسعيد : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلاً وسيدخل النار، ومنهم سعيد أزلاً وسيدخل الجنة.

زفير وشهيق : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت ضعيف وهو الشهيق.
عطاء غير مجذوذ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً.
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين.
نصيبهم غير منقوص : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي إن في أخذ الله تعالى للأمم الظالمة وتعذيبها بأشد أنواع العذاب آية أي علامة واضحة على أن من عذّب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة فالمؤمنون بلقاء الله تعالى يجدون فيما أخبر تعالى به من إهلاك الأمم الظالمة آية هي عبرة لهم فيواصلون تقواهم لله تعالى حتى يلاقوه وهم به مؤمنون ولأوامره ونواهيه مطيعون. وقوله تعالى ﴿ذلك يوم مجموع[1] له الناس وذلك يوم مشهود﴾ أي ذلك الذي فيه عذاب الآخرة هو يوم القيامة حيث يجمع فيه الناس لفصل القضاء ﴿وذلك يوم مشهود﴾ إذ تشهده الخلائق كلها وقوله تعالى ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ أي وما يؤخر يوم القيامة إلا لإكمال عمر الدنيا المعدود السنين والأيام بل والساعات. وقوله تعالى ﴿يوم يأتي[2]﴾ أي يوم القيامة ﴿لا تكلّم[3] نفس إلا بإذنه﴾ أي[4] بإذن الله تعالى وقوله ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ أي والناس فيه ما بين شقي وسعيد، وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير، أولاً، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً. وقوله تعالى ﴿فأما الذين شقوا﴾ أي في حكم الله وقضائه ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق[5] وهو صوت ضعيف والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار. وقوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ أي في النار ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ أي مدة دوامهما، وقوله ﴿إلا ما شاء ربك﴾ أن لايخلد فيها وهم أهل التوحيد ممن ماتوا على كبائر الذنوب. وقوله تعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ أي إن ربك أيها الإنسان فعال لمايريد إذا أراد شيئا فعله

---

(١) الجمع أصله لمّ الشتات والمتفرق منه يكون واحداً والجمع حشر الناس يوم القيامة في صعيد فصل القضاء.
(٢) قرىء يوم يأت بدون ياء لأن الياء تحذف إذا كان قبلها كسرة.
(٣) لا تكلم الأصل لا تتكلم بتائين وحذفت إحداهما للتخفيف وقرىء يأتي بالياء وهو الأصل والحذف للتخفيف لا غير كقول الرجل لا أدر فيما لا يدري.
(٤) وردت آيات فيها نفي الكلام عن أهل الموقف إلا بإذن الله تعالى وأخرى تثبت ذلك والجمع أن للمحشر مواقف وأحوالا فيؤذن لهم فيها أحياناً ولا يؤذن لهم أحياناً أخرى ولا خلاف في أنه لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى له بالكلام.
(٥) اختلف في تحديد معنى كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين والزفير مأخوذ من الزّفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاهق طويل.

لا يحال بينه وبين فعله[1] وقوله ﴿وأما الذين سعدوا﴾ أي حكم الله تعالى بسعادتهم ﴿ لما وفقهم الله من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي ﴿ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾[2] إذ إرادة الله مطلقة لا تحد إلا بمشيئته العليا وقوله ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي عطاء من ربك لأهل طاعته غير مقطوع أبداً وهذا دليل خلودهم فيها أبدا. وقوله تعالى ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾ هو خطاب لرسول الله ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يشك في بطلان عبادة المشركين أصنامهم فإنهم لا دليل لهم على صحة عبادتها وإنما هم مقلدون لآبائهم يعبدون ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان ، وقوله تعالى ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يخبر تعالى انه موفي المشركين ما كتب لهم من خير وشر أو رحمة وعذاب توفية كاملة لا نقص فيها بحال.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضل وفضيلة الإيمان بالآخرة.

٢- حتمية البعث الآخر وأنه لا شك فيه.

٣- الشقاوة والسعادة مضى بهما القضاء والقدر قبل وجود الأشقياء والسعداء.

٤- عجز كل نفس عن الكلام يوم القيامة حتى يؤذن لها به.

٥- إرادة الله مطلقة، لو شاء أن يخرج أهل النار لأخرجهم منها ولو شاء أن يخرج أهل الجنة لأخرجهم إلا أنه حكم بما أخبر به وهو العزيز الحكيم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
(١١٠) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ (١١١) فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

(١) أي لا يرد قضاؤه ولا يوقف فعله ولا يحال بينه وبين مراده.

(٢) قيل إن هذا تعبير عربي معتاد المقصود منه التأبيد كقولهم لا أكلمك ما طلع نجم أو ما نبح كلب وما إلى ذلك وما في التفسير أوجه وهو الذي عليه المحققون.

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

شرح الكلمات:

الكتاب	: أي التوراة.
ولولا كلمة سبقت	: أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة.
لفي شك منه مريب	: أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها.
فاستقم كما أمرت	: أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك بدون تقصير.
ولا تطغوا	: أي لا تجاوزوا حدود الله.
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا	: أي لاتميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.
فتمسكم النار	: أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر والثبات وهو يبلغ دعـوة الله تعالى ويدعو إلى توحيده مواجها صلف المشركين وعنادهم فيقول له. ﴿ولقـد آتينا موسى الكتاب﴾[1] أي التوراة كما أنزلنا عليك القرآن. فاختلفت اليهود في التوراة فمنهم من آمن بها ومنهم من كفر كما اختلف قومك في القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر إذاً فلا تحزن. وقوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي تأخير الجزاء على الأعمال في الدنيا إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ فنجى المؤمنين وأهلك الكافرين. وقوله تعالى ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ وإن قومك من مشركي العرب لفي شك من القرآن هل هو وحي الله وكلامه أو هو غير ذلك مريب أي موقع في الريب الذي هو شك مع اضطراب النفس وقلقها وحيرتها وقوله تعالى ﴿وإن كلاً لما ليوفينهم[2] ربك

(١) ظاهر البيان أن الله تعالى يسلي رسوله ويخفف عنه ما يجده من ألم من جراء كفر قريش بما جاءها به من الهدى ودين الحق فقال تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلف الناس في ذلك فآمن بعض وكفر بعض واليهود ما زالوا مختلفين في التوراة أي فيما تحمله من أحكام فهذا يحلل وهذا يحرّم.

(٢) قرىء وإن كلا بتخفيف إن وأعمالها على أنها المخففة من الثقيلة وقالوا سمع من يقول إن زيداً لمنطلق وشددها آخرون ونصبوا بها كلاً، وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وقرأ نافع وغيره بالتخفيف بناء على أن ما صلة واللام هي لام الابتداء لتي تدخل على الخبر واللام الثانية لام القسم وفصل بين اللامين بما كراهية توالي لامين وعلى قراءة تشديد لما فقد خرجوها على أن الأصل لمن ما فأدغمت النون في الميم فصارت لما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الميم الأولى تخفيفاً فصارت لمّا وتوجيه الكلام وإن جميعهم للاقون جزاء أعمالهم.

أعمالهم﴾ أي وإن كل واحد من العباد مؤمناً كان أو كافراً باراً أو فاجراً ليوفينّه جزاء عمله يوم القيامة ولا ينقصه من عمله شيئا وقوله ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ تقرير لما أخبر به من الجزاء العادل إذ العلم بالعمل والخبرة التامة به لابد منهما للتوفية العادلة. وقوله تعالى ﴿فاستقم[1] كما أمرت ومن تاب معك﴾ أي بناء على ذلك فاستقم كما أمرك ربك في كتابه فاعتقد الحق واعمل الصالح واترك الباطل ولا تعمل الطالح أنت ومن معك من المؤمنين ليكون جزاؤكم خير جزاء يوم الحساب والجزاء. وقوله ﴿ولا تطغوا﴾ أي لا تتجاوزوا ما حد لكم في الاعتقاد والقول والعمل وقوله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ تحذير لهم من الطغيان الذي نهوا عنه، وتهديد لمن طغى فتجاوز منهج الاعتدال المأمور بالتزامه. وقوله تعالى ﴿ولا تركنوا[2] إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ أي لا تميلوا إلى المشركين بمداهنتهم أوالرضا بشركهم فتكونوا مثلهم فتدخلوا النار مثلهم فتمسكم النار كما مستهم، وقوله تعالى ﴿وما لكم من دون الله من[3] أولياء ثم لا تنصرون﴾ أي إن أنتم ركنتم إلى الذين ظلموا بالشرك بربهم فكنتم في النار مثلهم فإنكم لا تجدون من دون الله ولياً يتولى أمر الدفاع عنكم ليخرجكم من النار ثم لا تنصرون بحال من الأحوال، وهذا التحذير وإن وجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ابتداء فإن المقصود به أمته إذ هي التي يمكنها فعل ذلك أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو معصوم من أقل من الشرك فكيف بالشرك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه مما يجده من جحود الكافرين.

٢ـ بيان سبب تأخر العذاب في الدنيا، وهو أن الجزاء في الآخرة لا في الدنيا.

٣ـ الجزاء الأخروي حتمي لا يتخلف أبداً إذ به حكم الحق عز وجل.

٤ـ وجوب الاستقامة على دين الله تعالى عقيدة وعبادة وحكماً وأدباً.

---

(١) قال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية ولذا قال وقد سأله أبو بكر عن إسراع الشيب اليه شيبتني هود وأخواتها، وليس الرسول وحده مأموراً بالاستقامة بل كل مؤمن ومؤمنة لقوله (ومن تاب معك) فاللهم أعنا على ذلك.

(٢) حقيقة الركون هي الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به قال قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ولا ترضوا أعمالهم.

(٣) في الآية دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصي وأهل البدع والأهواء فإن صحبتهم كفر أوْ مَعصية إذ الصحبة لاتكون إلا عن مودة وقد قال حكيم:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

٥ـ حرمة الغلو وتجاوز ما حد الله تعالى في شرعه.
٦ـ حرمة مداهنة المشركين[١] أو الرضا بهم أو بعملهم، لأن الرضا بالكفر كفر.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

شرح الكلمات:

وأقم الصلاة : أي صل الصلاة المفروضة.

طرفي النهار : أي الصبح، وهي في الطرف الأول، والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني.

وزلفاً من الليل : أي ساعات الليل والمراد صلاة المغرب وصلاة العشاء.

إن الحسنات يذهبن السيئات : أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صغائر الذنوب التي تقع بينهن.

ذلك ذكرى للذاكرين : أي ذلك المذكور من قوله وأقم الصلاة عظة للمتعظين.

المحسنين : أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بالإخلاص فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

معنى الآيتين:

ما زال السياق الكريم في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهدايتهم إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم فقال تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي[٢] النهار وزلفاً من الليل[٣]﴾ أقمها في

---

(١) المداهنة هي أن يتنازل العبد عن دينه لأجل دنياه وهي محرمة والمداراة جائزة وهي أن يتنازل العبد عن دنياه ليحفظ دينه.

(٢) طرف النهار ـ أوله ـ وهو من طلوع الفجر وآخره من العصر إلى غروب الشمس.

(٣) الزلف جمع زلفة كغرفة وغرف وهي الساعة القريبة من أختها والمراد بها صلاة المغرب والعشاء، وهذه الآية إحدى ثلاث آيات ذكرت أوقات الصلوات الخمس. الثانية آية الإسراء ﴿واقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ والثالثة آية الروم ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾.

هذه الأوقات الخمس وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ومعنى أقمها أدها على الوجه الأكمل لأدائها، فيكون ذلك الاداء حسنات[1] يمحو الله تعالى بها السيئات[2]، وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المأمور به وما يترتب عليه ﴿ذكرى﴾ أي عظة ﴿للذاكرين﴾ أي المتعظين وقوله ﴿واصبر﴾ أي على الطاعات فعلاً وتركاً وعلى أذى المشركين ولا تجزع ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي جزاءهم يوم القيامة، والمحسنون هم الذين يخلصون أعمالهم لله تعالى ويؤدونها على الوجه الأكمل في أدائها فتنتج لهم الحسنات التي يذهب الله بها السيئات.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١- بيان أوقات الصلوات الخمس إذ طرفي النهار هما الصبح وفيها صلاة الصبح والعشيّ وفيها صلاة الظهر والعصر كما أن زلفاً من الليل هي ساعاته فيها صلاة المغرب والعشاء.

٢- بيان سنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة وفي الحديث «الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها ما لم تغش الكبائر».

٣- وجوب الصبر والإحسان وأنهما من أفضل الأعمال.

فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ

(١) قوله تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ جملة تعليلية للأمر بإقام الصلاة وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين: الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالى بها السيئات وهي الصغائر والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذهابها.

(٢) روى البخاري عن عبدالله بن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة حرام فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك فنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة﴾ الآية فقال الرجل اليّ هذا؟ قال لمن عمل بها من أمتي.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ (١١٨)
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩)

شرح الكلمات:

فلولا : لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه.

من القرون : أي أهل القرون والقرن مائة سنة.

أولو بقية : أي أصحاب بقيّة أي دين وفضل.

ما أترفوا فيه : أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع.

وكانوا مجرمين : أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك.

بظلم : أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته.

أمة واحدة : أي على دين واحد وهو الإسلام.

ولذلك خلقهم : أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله ﴿فلولا كان من القرون﴾ من قبلكم أيها الرسول والمؤمنون ﴿أولو بقيّة﴾[1] من فهم وعقل وفضل ودين ينهون عن الشرك والتكذيب والمعاصي أي فهلاّ كان ذلك إنه لم يكن اللهم إلا قليلا ممن أنجى الله تعالى من اتباع الرسل عند إهلاك أممهم وقوله تعالى ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين[2]﴾ أي لم يكن بينهم أولو بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجى الله وما عداهم كانوا ظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي متبعين ما اترفوا فيه من ملاذ الحياة الدنيا وبذلك كانوا مجرمين فأهلكهم الله تعالى ونجى رسله والمؤمنين كما تقدم ذكره في قصة نوح وهود وصالح وشعيب

---

(١) أصحاب بقية والبقية أهل فضل ودين وصلاح يوجدون كبقية باقية في وسط أمة ضالة فاسدة غلب عليها الضلال والفساد فتوجد بقية صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

(٢) أترفوا أي أترفهم الله بما وسع عليهم من الأرزاق ولم يشكروه هؤلاء المترفون اتبعوا ما أترفوا فيه وانقطعوا إليه فلا هم لهم إلا متاع الحياة الدنيا، وبذلك أجرموا على أنفسهم وعقولهم فأصبحوا بذلك مجرمين، في الآية ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله.

عليهم السلام. وقوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[1] أي لم يكن من شأن ربّك أيها الرسول أن يهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون، ولكن يهلكهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك والتكذيب والمعاصي. وما تضمنته هذه الآية هو بيان لسنة الله تعالى في إهلاك الأمم السابقة ممن قص تعالى أنباءهم في هذه السورة. وقوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾[2] أي على الإسلام بأن خلق الهداية في قلوبهم وصرف عنهم الموانع. ولما لم يشأ ذلك لا يزالون مختلفين على أديان شتى من يهوديةونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة

وقـوله ﴿إلا من رحم ربك﴾[3] أيها الرسول فإنهم لا يختلفون بل يؤمنون بالله ورسوله ويعملون بطاعتهما فلا فرقة ولا خلاف بينهم دينهم واحد وأمرهم واحد. وقوله ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي وعلى ذلك خلقهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن، والكافر شقي والمؤمن سعيد، وقوله ﴿وتمت كلمة﴾ أي حقت ووجبت وهي ﴿لأملأنّ جهنم[4] من الجِنة والناس[5] أجمعين﴾ ولذا كان اختلاقهم مُهيّئاً لهم لدخول جهنم حيث قضى الله تعالى بامتلاء جهنم من الجن والإنس أجمعين فهو أمر لابد كائن.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ما يزال الناس بخير ما وجد بينهم أولو الفضل والخير بأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن الفسادوالشر.

٢ـ الترف كثيرا ما يقود إلى الاجرام على النفس باتباع الشهوات وترك الصالحات.

٣ـ متى كان أهل القرى صالحين فهم آمنون من كل المخاوف.

٤ـ الاتفاق رحمة والخلاف عذاب.

(١) في الآية إشارة إلى مصداق مثل سائر بين الناس وهو قولهم يدوم الكفر ولا يدوم الظلم. فالأمة إذا كان افرادها مصلحين لا يفسدون ولا يرضون الفساد ولا يقرونه فتطول حياتها ويعظم شأنها ولو كانت كافرة.

(٢) في الآية تقرير مشيئة الله تعالى التي لا يقع في الكون شيء إلا بها فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم على ملة الإسلام أو ملة الكفر أمة واحدة ولكن حكمته اقتضت اختلاف الناس لتتجلى في ذلك قدرته ورحمته وعدله وعفوه ومغفرته.

(٣) اجتماع الأمة وعدم اختلافها مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى واختلافها مظهر من مظاهر عذابها وشقائها وحرمانها.

(٤) جملة لأملأن جهنم تفسير للكلمة التي أتمها الله تعالى وهي قوله ﴿لأملأن جهنم..﴾.

(٥) أي من الفريقين فمن تبعيضية فيدخل بعض الجن والإنس الجنة ويدخل بعض الجن والإنس النار.

وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

شرح الكلمات :

وكلًا نقص : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتاً لفؤادك .

ما نثبت به فؤادك : أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا وتبليغها .

وجاءك في هذه الحق : أي في هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها .

وموعظة وذكرى : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون بها .

ولله غيب السموات والأرض : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم .

فاعبده : أي وَحِّدْهُ في العباده ولا تشرك به شيئا .

وتوكل عليه : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة فيه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

لما قص تعالى على رسوله في هذه السورة الشريفة ما قصه من أنباء الرسل مع أممهم مبيّناً ما لاقت الرسل من أفراد أممهم من تكذيب وعناد ومجاحدة وكيف صبرت الرسل

حتى جاءها النصر أخبر تعالى رسوله بقوله ﴿وكلًّا[1] نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ أي ونقص عليك كل ما تحتاج إليه في تدعيم موقفك وقوة عزيمتك من أنباء الرسل أي من اخبارها مع أممها الشيء الذي نثبت به قلبك حتى تواصل دعوتك وتبلغ رسالتك. وقوله ﴿وجاءك في هذه﴾ أي السورة الحق[2] من الأخبار كما جاءك في غيرها ﴿وموعظة﴾[3] لك تعظ بها غيرك، ﴿وذكرى﴾ يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق ويصبرون على الطاعة والبلاء فلا يجزعوا ولا يملوا، وقوله ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون﴾ أي وقل يارسولنا للذين لا يؤمنون من قومك ممن هم مصرون على التكذيب والشرك والعصيان اعملوا على حالكم وما أنتم متمكنون منه إنا عاملون على حالنا كذلك،

وانتظروا أيّنا ينتصر في النهاية أو ينكسر. وقوله ولله غيبُ[4] السموات والأرض فهو وحده يعلم متى يجيء النصر ومتى تحق الهزيمة. وإليه يرجع الأمر كله أمر الانتصار والانكسار كأمر الهداية والاضلال والإسعاد والاشقاء، وعليه فاعبده يارسولنا وحده وتوكل[5] عليه وحده، فإنه كافيك كل ما يهمك من الدنيا والآخرة، وما ربك بغافل عما تعملون أيها الناس وسيجزي كلًّا بما عمل من خَيْرٍ أو غيرٍ وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان فائدة القصص القرآني وهي أمور منها:

أ). تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم

ب) إيجاد مواعظ وعبر للمؤمنين.

جـ) تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ـ علم الغيب لله وحده لا يعلمه غيره.

٣ـ مرد الأمور كلها لله بدءاً وعوداً ونهاية.

---

(١) نصب كلاً بفعل نقص أي نقص عليك كلا والتنوين عوض عن كلمة محذوفة تقديرها كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل.

(٢) لاشتمالها على خمس قصص. قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب، مع الإشارة إلى قصتي ابراهيم وموسى عليهما السلام.

(٣) الموعظة اسم مصدر الوعظ وهي التذكير بما يصرف العبد عما يضره ويسيء إليه في سائر المحرمات فعلا وتركاً.

(٤) أي له علمه وحده دون سواه أي غيره لا في السماء ولا في الأرض.

(٥) أي ثق فيه وفوض أمر نصرك إليه ولا تلتفت إلى غيره فإنه كافيك دون سواه.

٤ـ وجوب عبادة الله تعالى والتوكل عليه.(١)

سُورَةُ يُوسُفَ
مكية

وآياتها مائة واحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات:

آلر : تكتب آلر وتقرأ: ألف، لام، را، والله أعلم بمراده بذلك.

الكتاب المبين : أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات والشرائع.

قرآنا عربيا : أي بلغه العرب العدنانيّون والقحطانيون سواء.

نحن نقص : نحدثك متتبعين آثار الحديث على وجهه الذي كان عليه وتم به.

بما أوحينا : أي بإيحائنا إليك فالوحي هو أداة القصص.

من قبله : أي من قبل نزوله عليك.

لمن الغافلين : أي من قبل إيحائنا إليك غافلا عنه لا تذكره ولا تعلم منه شيئاً.

---

(١) إذ لاجلها خلق الخلق كله، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الآية وفي الحديث القدسي: يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي. إذاً فعِلّةُ الحياة كلها ليُعْبَدَ الله تعالى.

معنى الآيات:

إن المناسبة بين سورتي هود ويوسف عليهما السلام أن الثانية تتميم للقصص الذي اشتملت عليه الأولى إذ سورة يوسف اشتملت على أطول قصص في القرآن الكريم أوله ﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ رابع آية وآخره ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ الآية الثانية بعد المائة وأما سبب نزول هذه السورة فقد قيل للرسول[1] صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى ﴿آلر تلك ءايات الكتاب المبين﴾ إلى قوله ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ فقص أحداث أربعين سنة تقريباً، فقوله تعالى ﴿آلر﴾ من هذه الحروف المقطعة تألّفت آيات القرآن الكريم، فأشار إليها بقوله ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي المبيّن للحق المُظهر له ولكل ما الناس في حاجة إليه مما يصلح دينهم ودنياهم. وقوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن ﴿قرآنا عربيّاً[2]﴾ أي بلسان العرب ليفهموه ويعقلوا معانيه فيهتدوا عليه فيكملوا ويسعدوا. وقوله ﴿لعلكم تعقلون[3]﴾ أي ليمكنكم فهمه ومعرفة ما جاء فيه من الهدى والنور. وقوله تعالى ﴿نحن نقص عليك﴾ يارسول الله ﴿أحسن القصص[4]﴾ أي أصحه وأصدقه وأنفعه وأجمله ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ أي بواسطة إيحائنا إليك هذا القرآن، ﴿وإن كنت من قبله﴾ أي من قبل إيحائه إليك ﴿لمن الغافلين﴾ عنه لا تذكره ولا تعلمه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير اعجاز القرآن إذ هو مؤلف من مثل آلر، وطسّ، وقّ، ومع هذا لم يستطع العرب أن يأتوا بسورة مثله.

٢ـ بيان الحكمة في نزول القرآن باللغة العربية وهي أن يعقله العرب ليبلغوه إلى غيرهم.

---

(١) روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا يا رسول الله ﷺ: لو قصصت علينا فنزلت: نحن نقص عليك أحسن القصص الآية.

(٢) قرآناً عربياً حال من الضمير في أنزلناه وعربياً صفة له فلم يكن على نهج الاشعار ـ و القصص التي تقص وإنما هو كتاب منظم يقرأ ويحفظ ويعلم ما فيه ويعمل به لسعادة الدارين.

(٣) أي جعلناه قرآنا عربياً بلغتكم التي تتخاطبون بها وتفهمون أساليبها الكلامية ومعانيها الإفرادية والتركيبية رجاء أن تتمكنوا من فهمه ومعرفة ما يدعو إليه من الحق والصراط المستقيم.

(٤) القصص منقول من قص الأثر إذا تتبع آثار الأقدم ليعرف منتهى سير صاحبها فالقصص تتبع الأخبار للمعرفة والعظة والاعتبار.

٣- القرآن الكريم اشتمل على أحسن القصص فلا معنى لسماع[١] قصص غيره.
٤- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها بأقوى برهان عقليّ واعظم دليل نقليّ.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

لأبيه : أي يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام.

إني رأيت : أي في منامي.

أحد عشر كوكبا : أي من كواكب السماء.

ساجدين : أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل.

فيكيدوا لك : أي يحتالوا عليك بما يضرك.

عدو مبين : أي بين العداوة ظاهرها.

يجتبيك ربك : أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

من تأويل الأحاديث : أي تعبير الرؤيا.

ويتم نعمته عليك أي بأن ينبئك ويرسلك رسولاً.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذ قال يوسف﴾[٢] هذا بداية القصص أي اذكر أيها الرسول إذ قال يوسف بن

---

(١) روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني.
(٢) إذ ظرف في محل نصب والعامل فيه اذكر أي اذكر لهم حين قال يوسف الخ.

يعقوب لأبيه يعقوب ﴿ياأبتِ﴾[1] أي يا أبي ﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ أي من كواكب السماء ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾[2] أي نزلوا من السماء وسجدوا له تحيّة وتعظيما. وسيظهر تأويل هذه الرؤيا بعد أربعين سنة حيث يجمع الله شمله بأبويه وإخوته الأحد عشر ويَسجدُ الكل له تحيّة وتعظيما. وقوله تعالى ﴿قال يا بنيّ﴾ أي قال يعقوب لولده يوسف ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾[3] وهم إخوة له من أبيه دون أمه ﴿فيكيدوا لك كيداً﴾ أي يحملهم الحسد على أن يكيدوك بما يضرك بطاعتهم للشيطان حين يغريهم بك ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ إذ أخرج آدم وحواء من الجنة بتزيينه لهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها. وقوله ﴿وكذلك يجتبيك ربّك﴾ وكما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر ساجدين لك يجتبيك أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وقوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي ويعلمك معرفة ما يؤول إليه أحاديث الناس ورؤياهم[4] المنامية، ويتم نعمته عليك بالنبوة وعلى آل يعقوب أي أولاده. ﴿كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق﴾ اسحق جد يوسف الأدنى وابراهيم جده الأعلى حيث أنعم عليهما بانعامات كبيرة أعظمهاالنبوة والرسالة، وقوله تعالى﴿إن ربك عليم﴾أي بخلقه ﴿حكيم﴾أي في تدبيرهفيضع كل شيء في موضعه فيكرم من هو أهل للاكرام، ويحرم من هو أهل للحرمان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ثبوت الرؤيا شرعاً ومشروعية تعبيرها[5].

---

(١) في يا أبت لغات كسر التاء وفتحها وضمها، والأصل يا أبي فزيدت التاء عوضاً عن الياء فلذا لا يجمع بينهما فلا يقال يا أبتي.

(٢) ساجدين جمع ساجد وهو للعاقل، والشمس والقمر والنجوم من غير العقلاء. فلم ما قال ساجدة؟ والجواب لما كان السجود وهو طاعة لا يصدر إلا من عاقل ذكر الفعل فقال ساجدين

(٣) الرؤيا ما يراه المرء في منامه من أمور وأحوال، وهي ثلاثة أنواع لقوله ﷺ الرؤيا ثلاثة منها أهاويل الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهتم به في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.

(٤) قيل لمالك أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: بالنبوة تلعب؟ لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها فإن رأى خيراً أخبر به وان رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت.

(٥) روى البخاري عن ابي قتادة أنه قال كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل ثلاث مرات ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره) وروى: (أن الرؤيا على رجل طائر مالم تعبّر فإذا عُبرت وقعت).

٢ـ قد تتأخر الرؤيا فلا يظهر مصداقها إلا بعد السنين العديدة .
٣ـ مشروعية الحذر والأخذ بالحيطة في الأمور الهامة .
٤ـ بيان إفضال الله على آل ابراهيم بما أنعم عليهم فجعلهم أنبياء آباء وأبناء وأحفاداً

۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

آيات للسائلين[1] : عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة .
ونحن عصبة : أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلا .
أو اطرحوه أرضا : أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه .
يخل لكم وجه أبيكم : أي من النظر إلى يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلى غيركم .
في غيابة الجب : أي ظلمة البئر.
بعض السيارة : أي المسافرين السائرين في الأرض.

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصة يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي

(١) الآيات : الدلائل على ما تُطلبُ معرفتهُ من الأمور الخفية ذات الشان وهي مأخوذة من آيات الطريق وهي علامات توضع على جنبات الطريق ترشد السائرين.

في شأن يوسف وإخوته وما جرى لهم وما تم من أحداث جسام عبر وعظات للسائلين[1] عن ذلك المتطلعين إلى معرفته. ﴿إذ قالوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿ليوسف وأخوه﴾ بنيامين وهو شقيقه[2] دونهم ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ أي جماعة فكيف يفضل[3] الاثنين على الجماعة ﴿إن أبانا﴾ أي يعقوب عليه السلام ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي في خطإٍ بيّن بإيثاره يوسف وأخاه بالمحبة دوننا. وقوله ﴿اقتلوا يوسف[4] أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ يخبر تعالى عما قاله إخوة يوسف وهم في خلوتهم يتآمرون على أخيهم للتخلص منه فقالوا ﴿اقتلوا يوسف﴾ بإزهاق روحه، ﴿أو اطرحوه﴾ في أرض بعيدة ألقوه فيها فيهلك وتتخلصوا منه بدون قتل منكم، وبذلك ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ حيث كان مشغولا بالنظر إلى يوسف، ويحبكم وتحبونه وتتوبوا إلى الله من ذنب إبعاد يوسف عن أبيه، وتكونوا بعد ذلك قوماً صالحين حيث لم يبق ما يورثكم ذنباً أو يكسبكم إثماً. وقوله تعالى ﴿قال قائل منهم﴾ يخبر تعالى عن قيل إخوة يوسف لبعضهم البعض وهم يتشاورون في شأن يوسف وكيف يبعدونه عن أبيهم ورضاه عنهم قال قائل منهم هو يهودا أو روبيل وكان أخاه وابن خالته وكان أكبرهم سنا وأرجحهم عقلا قال: لا تقتلوا يوسف، لأن القتل جريمة لا تطاق ولا ينبغي ارتكابها بحال، والقوه في غيابة الجب[5] أي في ظلمة البئر، وهي بئر معروفة في ديارهم بأرض فلسطين يلتقطه[6] بعض السيارة من المسافرين إن كنتم فاعلين شيئا إزاء أخيكم فهذا أفضل السبل لذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة بين الإخوة.

---

(١) السائلون: من يتوقع منهم السؤال عن المواعظ والعبر، والحكم والعرب يستعملون هذا في أساليبهم للتشويق قال السمؤل:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليسوا سواء عالم وجهول

(٢) أمهما يقال لها راحيل بنت لابان وباقي الأخوة منهم الأشقاء لبعضهم ومنهم لأب إذا لم تكن أمهم واحدة.

(٣) نظرتهم هذه مادية بحتة إذ رأوا أن نفع الجماعة لأبيهم أكثر من نفع الواحد والاثنين وهو ما فَضّلَ يوسفَ للمادة ولكن للكمال الروحي المهيأ له الدال عليه رؤياه.. والعصبة الجماعة ولا واحد لها من لفظها.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأن سائلا قال فماذا قالوا في تآمرهم وتشاورهم فأجيب قالوا أقتلوا الخ..

(٥) غيابة الجب والجمع غيابات وهي ما غاب عن البصر من شيء والمراد هنا قعر الجب وسمي الجب جباً لأنه مقطوع من الأرض ويجمع على جباب وجيبة.

(٦) في الآية دليل على مشروعية التقاط اللقطة وقد أذن فيها رسول الله ﷺ ولم يأذن في ضالة الإبل إذ قال في اللقطة. اعرف عقاصها (وعاءها) ووكاءها ثم عرّفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها. وقال في ضالة الغنم هي لك أولأخيك أو للذئب وقال في الإبل مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها.

٢ـ الحسد[1] سبب لكثير من الكوارث البشرية.
٣ـ ارتكاب أخف الضررين قاعدة شرعية عمل بها الأولون.
٤ـ الشفقة والمحبة في الشقيق أكبر منها في الأخ للأب.

قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

لناصحون	: لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا.
يرتع ويلعب[2]	: أي يأكل ويشرب ويلعب بالمسابقة والمناضلة.
إني ليحزنني	: أي يوقعني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به.
الذئب	: حيوان مفترس خداع شرس.
ونحن عصبة	: أي جماعة قوية.
لخاسرون	: أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في قصة يوسف إنهم بعد ائتمارهم واتفاقهم السري على إلقاء يوسف في غيابة الجب طلبوا من أبيهم أن يترك يوسف يخرج معهم إلى البر كعادتهم للنزهة والتنفه

---

(١) شاهدها حسد إبليس آدم فكانت كارثة الهبوط في الأرض والفتنة فيها وآخر حسد قابيل هابيل فقتله لذلك وثالث حسد اليهود للإسلام والمسلمين فجرّ حروباً وويلات لا حد لها على الإسلام والمسلمين.

(٢) قرأ نافع يرتعَ بكسر العين مجزوم في جواب الطلب بحذف الياء من ارتعى يرتعي الغنم ليتدرب بذلك وقرأها حفص بإسكان العين جزماً من رتع يرتع في المكان إذا أكل كيف شاء قال الشاعر

ترتعِ ما غفلت حتى إذا اذكرت   فإنما هي اقبال وادبار

وكأنهم لاحظوا عدم ثقة أبيهم فيهم فقالوا له ﴿مالك لا تأمنا[1] على يوسف وإنا له لناصحون﴾ أي محبون له كل خير مشفقون عليه أن يمسه أدنى سوء. ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي يرتع في البادية يأكل الفواكه ويشرب الألبان ويأكل اللحوم ويلعب بما نلعب به من السباق والمناضلة، والمصارعة، ﴿وإنا له لحافظون﴾ من كل ما قد يضره أو يُسيئ إليه. فأجابهم عليه السلام قائلا ﴿إني ليحزنني[2] أن تذهبوا به﴾ أي إنه ليوقعني في الحزن وآلامه ذهابكم به. ﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ في رتعكم ولعبكم. فأجابوه قائلين ﴿والله لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾ أي لا خير في وجودنا ما دمنا نُغلب على أخينا فيأكله الذئب بيننا. ومع الأسف فقد اقنعوا بهذا الحديث والدهم وغداً سيذهبون بيوسف لتنفيذ مؤامرتهم الدنية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قاعدة: لا حذر مع القدر أي لا حذر ينفع[3] في ردّ المقدور.

٢ـ صدق المؤمن يحمله على تصديق من يحلف له ويؤكد كلامه.

٣ـ جواز الحزن وأنه لا إثم فيه وفي الحديث «وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

٤ـ أكل الذئب[4] للإنسان إن أصاب منه غفلة واقع وكثير أيضا.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ

---

(١) قرئت لا تأمنا بالإدغام وبدون إشمام وقرئت بالادغام مع الإشمام وقرئت لا تأمننا بنونين ظاهرتين وقرئت لا تمنّا بكسر التاء لغة تميم.

(٢) أي يشق على مفارقته مدة ذهابكم به وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة ومخائل الكمال.

(٣) وينفع في ما لم يقدر بإذن الله تعالى.

(٤) الذئب مأخوذ من تذاءبت الريح إذا جاءت من كل وجه والذئب مهموز لأنه يجيء من كل وجه. وقرأ ورش عن نافع الذيب بدون همز لأن الهمزة ساكنة وقبلهما كسرة فحذفت تخفيفاً.

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات :

وأجمعوا : أي أمرهم على إلقائه في غيابة الجب.

في غيابة الجب : أي في ظلمة البئر.

وأوحينا إليه : أي أعلمناه بطريق خفي سريع.

عشاء : أي بعد غروب الشمس أول الليل.

نستبق : أي بالمناضلة.

عند متاعنا : أي أمتعتنا من ثياب وغيرها.

وما أنت بمؤمن لنا : أي بمصدّق لنا.

بدم كذب : أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف.

بل سولت لكم : أي زينت وحسنت.

على ما تصفون : أي من الكذب.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الإخبار عما عزم عليه إخوة يوسف أن يفعلوه فقد أقنعوا والدهم يوم أمس على إرسال يوسف معهم إلى البر وها هم أولاء وقد أخذوه معهم وخرجوا به، وما إن بعدوابه حتى تغيّرت وجوههم عليه وصار يتلقى الكلمات النابية والوكز والضرب أحيانا، وقد أجمعوا أمرهم على إلقائه في بئر معلومة لهم في الصحراء، ونفذوا مؤامرتهم وألقوا أخاهم وهو يبكي بأعلى صوته وقد انتزعوا منه قميصه وتركوه مكتوفا في قعر البئر. وهنا أوحى الله تعالى إليه أي أعلمه بما شاء من وسائط العلم انه سينبئهم في يوم من الأيام بعملهم الشنيع هذا وهو معنى قوله تعالى في السياق ﴿وأوحينا[1] إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ وبعد أن فرغوا من أخيهم ذبحوا سخلة ولطخوا بدمها قميصه، وعادوا

(١) هذا دليل على نبوته وأنه نبيء وهو صغير إذ النبوة لا يشترط لها بلوغ الرشد كالرسالة. وقيل الهاء في إليه تعود إلى يعقوب وعليه فلا إشكال إذ هو نبي ورسول عليه السلام.

إلى أبيهم مساء يبكون يحملون الفاجعة إلى أبيهم الشيخ الكبير قال تعالى ﴿وجاءوا أباهم عشاء﴾ أي ليلا ﴿يبكون﴾[1] وقالوا معتذرين ﴿ياأبانا إنا ذهبنا نستبق[2] وتركنا يوسف عند متاعنا[3] فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ وقد دلت عباراتهم على كذبهم قال تعالى ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب[4]﴾ أي ذي كذب أو مكذوب إذ هو دم سخلة ذبحوها فأكلوها ولطخوا ببعض دمها قميص يوسف أخيهم ونظر يعقوب إلى القميص وهو ملطخ بالدم الكذب ولم يكن به خرق ولا تمزيق فقال إن هذا الذئب لحليم إذ أكل يوسف ولم يخرق ثوبه. ثم قال ما أخبر تعالى عنه بقوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي لم يكن الأمر كما وصفتم وادعيتم وإنما سولت لكم أنفسكم أمرا فنفذتموه. ﴿فصبر جميل[5]﴾ أي فأمري صبر جميل والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى معه. ﴿والله المستعان[6] على ما تصفون﴾ أي من الكذب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- جواز صدور الذنب الكبير من الرجل المؤمن المهيء للكمال مستقبلا[7].

٢- لطف الله تعالى بيوسف وإكرامه له بإعلامه إياه أنه سينبىء إخوته بفعلتهم هذه وضمن ذلك بشره بسلامة الحال وحسن المآل.

٣- اختيار الليل للاعتذار دون النهار لأن العين تستحي من العين كما يقال. وكما قيل «كيف يرجو الحياء منه صديق... ومكان الحياء منه خراب. يريد عينيه لا تبصران.

٤- فضيلة الصبر الجميل وهو الخالي من الجزع والشكوى معاً.

---

(١) في الآية دليل على أن بكاء المرء لا يكون دليلا على صدق قوله لاحتمال أن يكون تصنعاً كما حصل لأولاد يعقوب.

(٢) هو المسابقة وقيل ننتضل وهو نوع من المسابقة وهو في السهام لا في الأقدام وفي الآية دليل على مشروعية السباق وقد سابق النبي ﷺ بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، والحفياء تبعد من ثنية الوداع ستة أميال أو سبعة، أجمع المسلمون أنه لا يجوز الرهان في السباق إلا في الخيل والإبل والنصل وهي الرماية بالسهام لإصابة الهدف.

(٣) أي ثيابنا وأمتعتنا.

(٤) استدل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الامارات في مسائل من الفقه كالقسامة وغيرها إذ يعقوب عليه السلام استدل على كذب بنيه بصحة القميص وعدم تمزقه بأنياب الذئب.

(٥) فصبر جميل أولى به فصبر جميل مبتدأ وأولى به الخبر وهو محذوف وما في التفسير واضح كذلك.

(٦) والله مبتدأ والمستعان خبر وعلى ما تصفون متعلق به، والمعنى والله المستعان به على احتمال ما تصفون من الكذب.

(٧) لأن إخوة يوسف بعد فعلتهم تلك بأخيهم تاب الله عليهم ونجاهم ومن ألطافه بهم أنه حال بينهم وبين جريمة القتل ونجا يوسف وهم يعلمون.

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سيارة : رُفْقَة من الناس تسير مع بعضها بعضا .

واردهم : أي الذي يرد لهم الماء .

فأدلى دلوه : أي دلى دلوه في البئر.

وأسروه بضاعة : أي أخفوه كبضاعة من البضائع .

وشروه بثمن بخس : أي باعوه بثمن ناقص .

وقال الذي اشتراه : أي الرجلالذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز.

اكرمي مثواه : أي أكرمي موضع إقامته بمعنى اكرميه وأحسني إليه .

أو نتخذه ولدا : أي نتبناه فقال ذلك لأنه لم يكن يولد له .

من تأويل الأحاديث : أي تعبير الرؤيا .

ولما بلغ أشده : أي قوته البدنية والعقلية .

حكما وعلما : أي حكمة ومعرفة أي حكمة في التدبير ومعرفة في الدين .

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته إنه لما ألقى يوسف في الجب وترك هناك جاءت قافلة من بلاد مدين تريد مصر فأرسلوا وارداً لهم[١] يستقي لهم الماء فأدلى دلوه في البئر فتعلق به يوسف فخرج معه وما إن رآه المدلي حتى صاح قائلا يا بشراي[٢] هذا غلام وكان إخوة يوسف يترددون على البئر يتعرفون على مصير أخيهم فلما رأوه بأيدي الوارد ورفقائه قالوا لهم هذا عبد لنا أبق، وإن رأيتم شراءه بعناه لكم فقالوا ذاك الذي نريد فباعوه لهم بثمن ناقص وأسره[٣] الذين اشتروا أي أخفوه عن رجال القافلة حتى لا يطالبوهم بالاشتراك فيه معهم، وقالوا هذه بضاعة كلفنا أصحاب الماء بإيصالها إلى صاحبها بمصر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة﴾ ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾.

وكونها معدودة غير موزونة دال على قلتها ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ أي إخوته لا الذين اشتروه.[٤] ولما وصلوا به مصر باعوه من وزير يقال له قطفير العزيز فتفرس فيه الخير فقال لامرأته زليخا أكرمي مقامه بيننا رجاء أن ينفعنا في الخدمة أو نبيعه بثمن غال، أو نتخذه ولداً حيث نحن لا يولد لنا. هذا معنى قوله تعالى ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ قال تعالى. ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾ أي وكما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه العزيز مكّنا له في الأرض فيما بعد فصار ملك مصر بما فيها يحكمها ويسوسها بالعدل والرحمة. وقوله تعالى ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي ولنعلمه[٥] تعبير الرؤا من أحاديث الناس وما يقصونه منه. وقوله تعالى ﴿والله غالب على أمره﴾[٦] أي على أمر يوسف فلم يقدر إخوته أن يبلغوا منه مرادهم

---

(١) الوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم.

(٢) قرأ ورش بُشْرَايَ، وقرأ حفص بُشْرَى.

(٣) اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. فقيل إنهم اخوة يوسف وقيل هم التجار الذين اشتروه وقيل هم الوارد وأصحابه وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنهم إخوة يوسف لما استخرج الوارد يوسف أدركهم إخوته وقالوا لهم هذا عبدنا ابق وإن شئتم بعناكموه فقالوا نود ذلك فباعوهم إياه كبضاعة لأنّ العبد يباع ويشترى كالبضاعة وما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أصوب والله أعلم.

(٤) لفظ الزاهدين وصف للذين باعوا يوسف ومن هنا قيل هم إخوة يوسف وقيل الواردة وقيل السيارة فالخلاف عائد إلى الأول حيث اختلف فيمن أسروا يوسف بضاعة. واستدل مالك بالآية على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ويكون البيع لازماً.

(٥) قال القرطبي: أي فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب ويعلمك من تأويل الأحاديث.

(٦) اختلف في عود الضمير في قوله (على أمره) هل هو عائد إلى الله تعالى فهو الغالب على أمره دون سواه، إذ لا يغلب الله شيء بل هو الغالب على أمره وقيل الضمير يعود إلى يوسف أي أن الله غالب على أمر يوسف يدبره ويحوطه ولا يكله إلى غيره.

كما هو تعالى غالب على كل أمر أراده فلا يحول بينه وبين مراده أحد وكيف وهو العزيز الحكيم. وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ إذ لو علموا لفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه ولم يحاولوا معصيته بالخروج عن طاعته. وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يجد من أقربائه من أذى إذ يوسف ناله الأذى من إخوته الذين هم أقرب الناس إليه بعد والديه. وقوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً[1] وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي ولما بلغ يوسف اكتمال قوته البدنية بتجاوز سن الصبا إلى سن الشباب وقوته العقلية بتجاوزه سن الشباب إلى سن الكهولة آتيناه حكماً وعلما أي حكمة وهي الإصابة في الأمور وعلما وهو الفقه في الدين، وكما آتينا يوسف الحكمة والعلم نجزي المحسنين[2] طاعتنا بالصبر والصدق وحسن التوكل وفي هذا بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن العاقبة وأن الله تعالى سينصره على أعدائه ويمكن له منهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- جواز الفرح بما يسر[3] والإعلان عنه.

٢- جواز الاحتياط لأمر الدين والدنيا.

٣- اطلاق لفظ الشراء على البيع.

٤- نسخ التبنّي في الإسلام.

٥- معرفة تعبير الرؤا كرامة لمن علّمه الله ذلك.

٦- من غالب الله غُلِبَ.

٧- بلوغ الأشد يبتدى بانتهاء الصبا والدخول في البلوغ.

٨- حسن الجزاء مشروط بحسن القصد والعمل.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا

(١) أي ولّيناه حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناه النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين.

(٢) هذا الجزاء عام في كل مؤمن أحسن فبقدر إحسان العبد يكون جزاء الرب له فالخطاب يتناول يوسف ومحمداً ﷺ ويتناول غيرهما لأن القرآن كتاب هداية فعمومه لا يخصص بالواحد والاثنين.

(٣) مأخوذ من قول الوارد. يا بشرى هذا غلام.

لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

راودته	: أي طالبته لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبى.
التي هو في بينها	: أي زليخا امرأة العزيز.
وغلّقت الأبواب	: أغلقتها بالمغّاليق.
هيت لك	: أي تعال عندي.
معاذ الله	: أي أعوذ بالله أي أتحصن وأحتمي به من فعل مالا يجوز.
أحسن مثواي	: أي إقامتي في بيته.
همت به	: أي لتبطش به ضربا,
وهم بها	: أي ليدفع صولتها عليه.
برهان ربّه	: ألهمه ربّه أن الخير في عدم ضربها.
السوء والفحشاء	: السوء ما يسوء وهو ضربها، والفحشاء الخصلة القبيحة.
المخلصين	: أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا.
وقدت قميصه	: أي قطعته من وراء.
وألفيا سيدها	: أي وَجَدَا العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد لأنه يملك المرأة.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وما جرى له من أحداث في بيت العزيز الذي اشتراه إنه ما إن أوصى العزيز امرأته بإكرام يوسف حتى بادرت إلى ذلك فأحسنت طعامه وشرابه ولباسه وفراشه، ونظراً إلى ما تجلبه الخلوة بين الرجل والمرأة من إثارة

الغريزة الجنسية لا سيما إذا طالت المدة، وأمن الخوف وقلت التقوى حتى راودته بالفعل عن نفسه أي طلبت منه نفسه ليواقعها بعد أن اتخذت الأسباب المؤمّنة حيث غلّقت أبواب الحجـرة والبهـو والحديقة، وقالت تعال إليّ. وكان رد يوسف على طلبها حازماً قاطعا للطمع وهذا هو المطلوب في مثل هذا الموقف قال تعالى مخبراً عما جرى في القصر حيث لا يعلم أحدٌ من الناس ما جرى وما تم فيه من أحداث. ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت[1] الأبواب وقالت هيت[2] لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾. إنها بعد أن اتخذت كل ما يلزم للحصول على رغبتها منه أجابها قائلا ﴿إنه ربي[3] أحسن مثواي﴾ يريد العزيز أحسن إقامتي فكيف أخونه في أهله. وفي نفس الوقت أن سيده الحق الله جل جلاله قد أحسن مثواه بما سخّر له فكيف يخونه فيما حرم عليه. وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثان فالظالم بوَضْعِ الشيء في غير موضعه يخيب في سعيه ويخسر في دنياه وأخراه فكيف أرضىٰ لنفسي ولك بذلك وقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه[4]﴾ أي همت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مراودات طالت مدتها، وهم هو بها أي بضربها دفعاً لها عن نفسه إلا إنه أراه الله برهاناً في نفسه فلم يضربها وآثر الفرار إلى خارج البيت، ولحقته تجري وراءه لترده خشية أن يعلم أحد بما صنعت معه. واستبقا الباب هو يريد الخروج وهي تريد رده إلى البيت خشية الفضيحة وأخـذته من قميصه فقدته أى شقته من دُبر أي من وراء لأنه أمامها وهي وراءه. وقوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء[5] والفحشاء﴾ أي هكذا نصرف عن يوسف السوء فلا يفعله والفحشـاء فلا يقـربهـا، وعلل لذلـك بقوله إنه من عبادنا المخلصين أي الذين استخلصناهم لعبادتنا ومحبتنا فلا نرضى لهم أن يتلوثوا بآثار الذنوب والمعاصي. وقوله تعالى ﴿وألفيا سيّدها[6] لدى الباب﴾ أي ووجدا زوجها عند الباب جالساً في حال هروبه منها

---

(١) أي أحكمت إغلاقها متحققة من ذلك وقد قيل إنها سبعة أبواب يقال غلق الباب وأغلقه وإذا أريد الكثرة قيل غلّق الأبواب.

(٢) أي هلم وأقبل وتعال ولا مصدر له ولا تصريف. كأنه اسم فعل أمر بمعنى اقبل وتعال وفيه سبع قراءات أفصحها وأجلها هَيْتَ لك بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء ونظيرها هيت بكسر الهاء وفتح التاء وهي قراءة نافع وروي أن عكرمة قال إنها لغة عربية تدعو بها إلى نفسها. قال الجوهري يقال هرّت وهيّت به إذا صاح به ودعاه. قال الشاعر:

قد رابني أن الكرىّ أسكتا ... لو كان معنيا بها لهيّتا

(أي لصاح)، وقال آخر: يحدو بها كل فتى هيّاتِ

(٣) يعني بقوله ربي زوجها أي سيده.

(٤) جواب لولا محذوف لعلم السامع به وتقديره لضربها أو لكان ما كان.

(٥) السوء هو ضرب وقدم في الذكر عن الفحشاء لأنه الحادث الأخير وأما الفحشاء فكانت قبل.

(٦) في عرف لغتهم إطلاق السيد على الزوج.

وهي تجرى وراءه حتى انتهيا إلى الباب وإذا بالعزيز جالس عنده فخافت المعرة على نفسها فبادرت بالاعتذار قائلة ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أي يوما أو يومين، أو عذاب أليم يكون جزاءاًله كأن يضرب ضرباً مبرحا.

قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

وشهد شاهد من أهلها : أي ابن عمها.

قَدَّ من قُبل : أي من قدام.

قدَّ من دبُر : أي من وراء أي من خلف.

إنه من كيدكن : أي قولها، ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً.

يوسف أعرض عن هذا : أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع.

من الخاطئين : المرتكبين للخطايا الآثمين.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وأحداث القصة فقد ادعت زليخا أن يوسف راودها عن نفسها وطالبت بعقوبته فقالت ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ وهنا رد يوسف ما قذفته به، ولولا أنها قذفته ما أخبر عن مراودتها إياه فقال ما أخبر تعالى به في هذه الآيات ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ وهنا انطق الله جل جلاله طفلاً رضيعاً[1]

(١) وقيل إنه كان رجلاً حكيماً ذا عقل كان الوزير يستشيره في أموره وكان من أهل المرأة ورجح هذا غير واحد وما في التفسير أصحّ لصحة الحديث الشريف: تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم.

إكراما لعبده وصفيّه يوسف فقال هذا الطفل والذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد يوسف ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ هذا ما قضى به الشاهد الصغير. ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال﴾. ﴿إنه﴾ أي قولها ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ﴿من كيدكن﴾[1] أي من صنيع النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾، ثم قال ليوسف[2] يا يوسف ﴿أعرض عن هذا﴾ الأمر ولا تذكره لأحد لكيلا يفشو فيضر. وقال لزليخا ﴿استغفري لذنبك﴾ أي اطلبي العفو من زوجك ليصفح عنك ولا يؤاخذك بما فرط منك من ذنب إنك كنت من الخاطئين أي الآثمين من الناس هذا ما تضمنته الآيات الأربع في هذا السياق الكريم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مشروعية الدفاع عن النفس ولو بما يُسيُّ إلى الخصم.

٢- إكرام الله تعالى لأوليائه حيث أنطق طفلا في المهد فحكم ببراءة يوسف.

٣- تقرير أن كيد النساء عظيم وهو كذلك.

٤- استحباب الستر على المسيء وكراهية إشاعة الذنوب بين الناس.

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا

---

(١) الكيد: المكر والاحتيال وقال إن كيدكن عظيم، لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من الورطة.
(٢) القائل هو الشاهد وقيل الزوج، والراجح حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكما بينهما.

مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ
إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات:

في المدينة : أي عاصمة مصر يومئذ..

تراود فتاها : أي عبدها الكنعاني.

قد شغفها حبا : أي دخل حبّه شغاف قلبها أي أحاط بقلبها فتملكه عليها.

إنا لنراها في ضلال مبين : أي في خطأ بيّن بسبب حبها إياه.

فلما سمعت بمكرهن : أي بما تحدثن به عنها في غيبتها.

وأعتدت لهن متكئا : أي وأعدت لهن فراشا ووسائد للاتكاء عليها.

أكبرنه : أي أعظمنه في نفوسهن.

فذلك الذي لمتنني فيه : أي قلتن كيف تحب عبداً كنعانياً.

فاستعصم : أي امتنع مستمسكا بعفته وطهارته.

الصاغرين : الذليلين المهانين.

أصب إليهن : أمل إليهن.

وأكن من الجاهلين : أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في قصة يوسف إنه بعد الحكم الذي أصدره شاهد يوسف عليه السلام انتقل الخبر إلى نساء بعض الوزراء فاجتمعن في بيت إحداهن وتحدثن بما هو لوم لامرأة العزيز حيث راودت عبداً لها كنعانياً عن نفسه وهو ما أخبر تعالى عنه في الآيات الآتية قال تعالى ﴿وقال نسوة[1] في المدينة﴾ أي عاصمة مصر يومئذ ﴿امرأة العزيز تراود

(١) نسوة بكسر النون وضمها والجمع الكثير نساء.ولا واحدة من لفظه إذ مفرد النسوة امرأة من غير لفظه.

فتـاها﴾[1] أي عبدها ﴿عن نفسه قد شغفها حبا﴾ أي قد بلغ حبها إياه شغاف قلبها أي غشاءه[2]. ﴿إنا لنراها﴾ أي نظنها ﴿في ضلال مبين﴾ أي خطأ واضح : إذ كيف تحب عبداً وهي من هي في شرفها وعلوّ مكانتها. قوله تعالى ﴿فلما سمعت بمكرهن[3]﴾ أي ما تحدثن به في غيبتهـا ﴿أرسلت إليهن[4] وأعتـدت لهن[5] متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا﴾ أي فقابلت مكرهن بمكر أعظم منه فأعدت لهن حفلة طعام وشراب فلما أخذن في الأكل يقـطعن بالسكـاكين الفواكه كالأترج وغيره أمرته أن يخرج عليهن ليرينه فيعجبن برؤيته فيذهلن عن أنفسهن ويقطعن[6] أيديهن بدل الفاكهة التي يقطعنها للأكل وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة والملامة، وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله[7] ما هذا بشرا﴾ أي إنسان من الناس. ﴿إن هذا إلا ملك﴾ أي ما هذا إلا ملك ﴿كـريم﴾ وذلك لجماله وما وهبه الله تعالى من حسن وجمال في خلقه وخلقه. وهنا قالت ما أخبر تعالى به في قوله ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ أي هذا هو الفتي الجميل الذي لمتنني في حبه ومراودته عن نفسه ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي راودته فعلا وامتنع عن إجابتي. ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ أي به مما أريده منـه ﴿ليسجنن وليكـونا من الصاغرين﴾ أي الذليلين المهانين. وهكذا اسمعته تهديدها أمام النسوة المعجبات به. ومن هنا فزع يوسف إلى ربّه ليخلصه من مكر هذه المرأة وكيدها فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ أي يارب فلذا عد كلامه هذا سؤالاً لربه ودعاء السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه من الإثم، ﴿وإلاّ تصـرف عني كيدهن﴾ أي كيد النسـوة ﴿أصب إليهن﴾ أي أَمِلْ إليهن ﴿وأكن﴾ أي بفعل ذلك ﴿من الجاهلين﴾ أي الآثمين بارتكاب معصيتك.

---

(١) ﴿فتاها﴾ نسب إليها وهو لزوجها باعتبار أنه يخـدمها بملك زوجهـا لـه فصحّ نسبته إليها، وقيل: إن زوجها وهبه إيّاها كما وهبت سارة هاجر لإبراهيم عليه السلام.

(٢) شغـاف القلب: غلافـه، وهو: جلدة عليه، وقرىء: شعفها بالعين المهملة أي: أحرق حبّه قلبها، يقال: ؛ شعفه الحب: إذا أحرق قلبه.

(٣) وجه مكرهن: أنهن لما سمعن بجمال يوسف وحسنه، رغبن في النظر إليه فاحتلن لذلك بالحديث عن زليخا وانتقادها في حبها لخادمها.

(٤) في الكلام حذف تقديره: فأرسلت إليهن تدعوهنّ إلى وليمة لتوقعن فيما وقعت فيه. أعتدت: هذا من العتاد وهو ما جعل عدّة لشيء ومنه العتاد الحربي وهو ما أعدّ للحرب من أنواع السلاح.

(٥) أصل: ﴿متكأ﴾ موتكأ، حذفت منه الواو كمتزن من وزنت، ومتّعدّ من وعدت وقرىء: متكاً غير مهموز وهو الأترج وأمّا مهموزا فهو: كل ما اتكىء عليه عند الجلوس.

(٦) قال مجاهد: ليس قطعاً تبينُ به اليد، وإنما خدش وحزر وهو معروف في كلام العرب، يقال قطع يده إذا جرحها.

(٧) قرىء: ﴿حاش لله﴾ و﴿حاشا لله﴾، وفيه أربع لغات، ويقال: حاشا زيد. وحاشا زيداً، ومعناه هنا: معاذ الله.

وهذا ما لا أريده وهو ما فررت منه ﴿فاستجاب له ربه﴾ أي أجابه في دعائه وصرف عنه كيدهن إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده ودُعَاءِ عبده وصفيه يوسف عليه السلام العليم بأحوال وأعمال عباده ومنهم عبده يوسف. ولذا استجاب له فطمأنه وأذهب الألم ألم الخوف من نفسه، وله الحمد والمنة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان طبيعة الإنسان في حب الاطلاع وتتبع الأخبار.

٢- رغبة الإنسان في الثأر لكرامته، وما يحميه من دم أو مال أو عرض.

٣- ضعف النساء أمام الرجال، وعدم قدرتهن على التحمل كالرجال.

٤- إيثار يوسف عليه السلام السجن على معصية الله تعالى وهذه مظاهر الصديقية.

٥- الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ووعده ووعيده وشرعه هو سبب كل الجرائم في الأرض.

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

ثم بدا لهم : أي ظهر لهم.

الآيات : أي الدلائل على براءة يوسف.

أعصر خمرا : أي أعصر عنباً ليكون خمرا.

واتبعت ملة : أي دين.

ما كان لنا : أي ما انبغى لنا ولا صح منّا.

أن نشرك بالله من شيء : أي أن أشرك بالله شيئا من الشرك وإن قل ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا.

ذلك من فضل الله علينا : أي ذلك التوحيد والدين الحق.

وعلى الناس : إذ جاءتهم الرسل به ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن يوسف عليه السلام وما حدث له بعد ظهور براءته من تهمة امرأة العزيز قال تعالى ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ أي ثم ظهر للعزيز ومن معه من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف وذلك كقدّ القميص من دُبر ونطق الطفل وحكمه في القضية بقوله ﴿إن كان قميصه﴾ الخ وهي أدلة كافية في براءة يوسف إلا أنهم رأوا سجنه إلى حين[1] ماً، أي ريثما تسكن النفوس وتنسى الحادثة ولم يبق لها ذكر بين الناس. وقوله تعالى ﴿ودخل معه السجن[2] فتيان﴾ أي فقرروا سجنه وادخلوه السجن ودخل معه فتيان أي خادمان كانا يخدمان ملك البلاد بتهمة[3] وجهت إليهما. وقوله تعالى ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ وكان هذا الطلب منهما بعد أن أعجبا بسلوكه مع أهل السجن وحسن معاملته وسألاه عن معارفه فأجابهم

---

(١) ذُكر للحين آماد مختلفة: فقد قيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاثة عشر شهراً وقيل: تسع سنين، وما في التفسير أصح تلك الأقوال.

(٢) رضي بالسجن ولم يرض ارتكاب الفاحشة لعصمة الله تعالى له، ومن هنا قال العلماء: لو أكره مؤمن على الفاحشة أو السجن لتعيّن عليه أن يدخل السجن ولا يرتكب الفاحشة.

(٣) هذه التهمة هي: تآمرهما على قتل الملك بوضع سمّ في طعامه أو شرابه، وفعلاً كان الطاهي قد وضع سماً في الطعام وأعطى حيواناً فمات لفوره، ومن ثمّ أدخلا السجن معاً نظراً للحكم عليهما.

بأنه يعرف تعبير الرؤيا فعندئذ قالا هيا نجربه فندعي[1] أنا رأينا كذا وكذا وسألاه فأجابهما بما أخبر تعالى به في هذه الآيات: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل[2] أن يأتيكمـا﴾ واللفظ محتمل لما يأتيهما في المنام أو اليقظة وهو لما علّمه الله تعالى يخبرهما به قبل وصوله إليهما وبما يؤول إليه. وعلل لهما مبيّناً سبب علمه هذا بقوله ﴿ذلكما مما علّمني ربّي إنّي[3] تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون﴾ وهم الكنعـانيون والمصـريون إذ كانـوا مشـركين يعبدون الشمس وغيرها، تركت ملة الكفر واتبعت ملة الإيمان بالله واليوم الآخر ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب، ثم واصل حديثه معهما دعوة لهما إلى الإيمان بالله والدخول في الإسلام فقال ﴿ما كان لنا﴾ أي ما ينبغي لنا أن نشرك بالله من شيء فنؤمن به ونَعْبُدُه معه، ثم أخبرهما أن هذا لم يكن باجتهاد منهم ولا باحتيال، وإنما هو من فضل الله تعالى عليهم، فقال ذلك من فضل الله علينا،[4] وعلى النـاس إذ خلقهم ورزقهم وكلأهم ودعاهم إلى الهدى وبيّنه لهم ولكن أكثر الناس لا يشكرون[5] فهم لا يؤمنون ولا يعبدون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- دخول يوسف السجن بداية أحداث ظاهرها محرق وباطنها مشرق.

٢- دخول السجن ليس دائما دليلا على أنه بيت المجرمين والمنحرفين إذ دخله صفيّ لله تعالى يوسف عليه السلام.

٣- تعبير الرؤى تابع لصفاء الروح وقوة الفراسة وهي في يوسف علم لدني خاص.

٤- استغلال المناسبات للدعوة إلى الله تعالى كما استغلها يوسف عليه السلام.

٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله.

٦- اطلاق لفظ الآباء على الجدود إذ كل واحد هو أب لمن بعده.

---

(١) روي أنه قال لهما: فما رأيتما؟ فقال الخباز: رأيت كأنّي اختبزت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال فوضعته على راسي فجاء الطير فأكل منهن، وقال الآخر رأيت كأني أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض فعصرتهن في ثلاث أوانٍ، ثمّ صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى هذا معنى قوله: ﴿إني أراني أعصر خمرا﴾.

(٢) أي: بتفسيره في اليقظة، فقالا له: هذا من فعل العرّافين والكهنة فردّ عليهما قائلا: ﴿ذلكما مما علّمني ربّي﴾.

(٣) لمّا ردّ عليهما بقوله: ﴿ذلكما مما علمني ربّي﴾ علّل له بقوله: ﴿إني تركت ملة قوم..﴾

(٤) إذ جعلنا أنبيّاء ورسلا ندعوا الناس إلى عبادة ربهم، وتوحيده فيها ليكملوا عليها ويسعدوا في الدارين.

(٥) أي: لا يعرفون نعمة الله تعالى عليهم بإرسال الرسل إليهم مبشرين ومنذرين فلذا هم لا يعبدون الله ولا يوحدونه فيها.

يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ


شرح الكلمات :

يا صاحبي السجن : أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان صاحب طعام الملك وصاحب شرابه .

أأرباب متفرقون : أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم

من دونه : أي من دون الله سبحانه وتعالى .

إلا أسماء : أي مجرد اسم إله ، وإلا في الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم .

ما أنزل الله بها من سلطان : أي لم يأمر الله تعالى بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة .

فيسقي ربه خمرا : أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب الخمر .

فيصلب : يقتل مصلوباً على خشبة كما هي عادة القتل عندهم.
قضي الأمر : أي فرغ منه وبتّ فيه.
ظن انه ناج منهما : أي أيقن إنه محكوم ببراءته.
أذكرني عند ربك : أي أذكرني عند الملك بأني مسجون ظلما بدون جريمة.
فأنساه الشيطان ذكر ربه : أي أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه تعالى.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في السجن لقد سبق أن استعبر الفتيان يوسف رؤياهما أي طلبا منه أن يعبرها لهما لما علما منه أنه يعبر الرؤى غير أن يوسف استغل الفرصة وأخذ يحدثهما عن أسباب علمه بتعبير الرؤى وأنه تركه لملّة الكفر وإيمانه بالله تعالى وحده وأنه في ذلك متّبع ملة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب، وانه لا ينبغي لهم أن يشركوا بالله وفي هذا تعريض بما عليه أهل السجن من الشرك بالله تعالى بعبادة الأصنام، وواصل حديثه داعياً إلى الله تعالى فقال ما أخبر به تعالى في هذا السياق ﴿يا صاحبيِ[١] السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ فخاطب صاحبيه يا صاحبي السجن أخبراني واصدقاني: أرباب أي آلهة متفرقون هنا وهناك، هذا صنم وهذا كوكب، وهذا إنسان، وهذا حيوان، وهذا لونه كذا وهذا لونه كذا خير أم الله الواحد في ذاته وصفاته القهار لكل ما عداه من سائر المخلوقات، ولم يكن لهم من جواب سوى ﴿الله الواحد القهار﴾ إن العقل يقضي بهذا. ثم خاطب أهل السجن كافة فقال ﴿ما تعبدون من دونه﴾[٢] أي من دون الله الواحد القهار ﴿إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ إنها مجرد أسماء لا غير إذ كونكم تطلقون لفظ إله أو رب على صنم أو كوكب مرسوم له صورة لا يكون بذلك ربّاً وإلهاً إن الرب هو الخالق الرازق المدبر أما المخلوق المرزوق الذي لا يملك نفعا ولا ضراً لنفسه فضلاً عن غيره فإطلاق الربّ والإله عليه كذب وزور، إنّها أسماء ما أنزل الله بها من[٣] سلطان حجة ولا برهاناً فتعبد لذلك بحكم أن الله أمر بعبادتها. ثم قال لهم ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي ما الحكم إلا لله، وقد حكم بأن لا يعبد إلا هو، إذاً فكل عبادة لغيره

---

(١) أطلق لفظ الصحبة لطول مكثهما في السجن كقوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة﴾ وأصحاب النار. وذلك لطول المقام فيهما.

(٢) بيّن بذلك عجز تلك الآلهة الباطلة.

(٣) أي: من حجّة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون.

هي باطلة يجب تركها والتخلي عنها، ذلك الدين القيم أخبرهم أن عبادة الله وحده وترك عبادة غيره هي الدين القويم والصراط المستقيم إلا أن أكثر الناس لايعلمون فجهلهم بمعرفة ربهم الحق الذي خلقهم ورزقهم ويدبر حياتهم وإليه مرجعهم هو الذي جعلهم يعبدون ما ينحتون ويؤلهون مايصنعون. ولما فرغ من دعوته إلى ربّه التفت إلى من طلبا منه تعبير رؤياهما فقال: ما أخبر تعالى به عنه ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربّه خمرا﴾ أي سيطلق سراحه[1] ويعود إلى عمله عند الملك فيسقيه الخمر كما كان يسقيه من قبل، وأما الآخر وهو طباخ الملك المتهم بأنه أراد أن يضع في طعام الملك السم ليقتله، فيصلب فتأكل الطير من رأسه بعد صلبه. وهنا قالا: إننا لم نر شيئا وإنما سألناك لنجربك لا غير فرد عليهما قائلا ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي فرغ منه وبُت فيه رأيتما أم لم تريا. ثم قال للذي ظن أنّه ناج منهما ما أخبر تعالى به عنه ﴿اذكرني عند ربك﴾[2] أي عند سيدك وكانوا يطلقون على السيد المالك لفظ الربّ. فأنساه الشيطان ذكر ربّه[3] أي أنسى الشيطان يوسف عليهالسلام ذكر ربّه تعالى حيث التفت بقلبه إلى الخادم والملك ونسى الله تعالى فعاقبه ربّه الحق فلبث في السجن بضع سنين أي سبع سنوات عداً،

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى.

٢ـ تقرير التوحيد عن طريق أحاديث السابقين.

٣ـ لا حكم في شيء إلا بحكم الله تعالى فالحق ما أحقه الله والباطل ما أبطله والدين ما شرعه.

٤ـ مشروعية الاستفتاء في كل مشكل من الأمور.

---

(١) أي: بعد ثلاثة أيام، وكذلك كان.

(٢) إطلاق لفظ الربّ على السيد كان عند من قبلنا أمّا نحن أمّة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روى مسلم قوله ﷺ: (لا يقل أحدكم: اسق ربّك أطعم ربّك وضىء ربك، ولا يقل أحدكم: ربّي، وليقل سيّدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل: فتاي فتاتي غلامي).

(٣) عجباً لبعض المفسرين كيف يرجعون الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان﴾ إلى الفتى الخادم، ولم يرجعوه إلى يوسف عليه السلام كما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره، إذ لو كان الضمير يصحّ رجوعه إلى الخادم لكان النظم القرآني هكذا: فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربّه فلبث في السجن.

٥ـ غفلة يوسف عليه السلام بإقباله على الفتى وقوله له اذكرني عند ربك ناسياً مولاه الحق ووليه الذي أنجاه من القتل وغيابة الجب، وفتنة النساء جعلته يحبس في السجن سبع سنين.

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾
قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات:

الملك: ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد.

سبع عجاف: هزال غير سمان.

يا أيها الملأ: أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة.

أفتوني في رؤياي: أي عبروها لي.

أضغاث أحلام: أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذاك.

وادّكر بعد امة: أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين.

يوسف أيها الصديق: أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق علم ذلك منه في السجن.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وهو في محنته إنه لما قارب الفرج أوانه رأى

ملك مصر رؤيا أهالته وطلب من رجال دولته تعبيرها، وهو ما أخبر تعالى به في هذه الآيات إذ قال عز وجل: ﴿وقال الملك أي ملك البلاد إني أرى أي في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف[1]﴾ أي مهازيل في غاية الهزال. ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر أي سنبلات يابسات. ثم واجه رجال العلم والدولة حوله وقد جمعهم لذلك فقال ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ أي تؤولون. فأجابوه بما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿قالوا أضغاث أحلام[2]﴾ أي رؤياك هذه هي من أضغاث الأحلام التي لا تعبر، إذ قالوا ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ والمراد من الأضغاث الأخلاط وفي الحديث الصحيح «الرؤيا من الرحمن والحلم من الشيطان[3]». وقوله تعالى ﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي من صاحبي السجن، ﴿وادّكر بعد امة﴾ أي وتذكر ما أوصاه به يوسف وهو يودعه عند باب السجن إذ قال له ﴿اذكرني عند ربك﴾ بعد حين من الزمن قرابة سبع سنوات. قال ما أخبر تعالى به عنه ﴿أنا أنبئكم بتأويله فارسلون﴾ أي إلى يوسف في السجن فإنه أحسن من يعبر الرؤى فأرسلوه فدخل عليه وقال ما أخبر به تعالى عنه في قوله ﴿يوسف﴾ أي يا يوسف ﴿أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ وقوله ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي الملك ورجاله ﴿لعلهم يعلمون﴾ أي ماتعبرها به أنت فينتفعون بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ جواز الرؤيا الصالحة يراها الكافر والفاسق.

٢ـ الرؤى نوعان حلم من الشيطان، ورؤيا من الرحمن.

٣ـ النسيان من صفات البشر.

٤ـ جواز وصف الإنسان بما فيه من غير إطراء كقوله أيها الصديق.

٥ـ لعل تكون بمعنى كي التعليلية.

---

(١) ﴿عجاف﴾ جمع عجفاء من عجُف يعجُف كعظُم يعظُم، والعجاف، المهاذيل والهُزال في الحيوان: الضعف لقلة الشحم واللحم.

(٢) الأضغاث: جمع ضغث والضّغث في اللغة: الحزمة من الشيء كالبقل والكلأ، والأحلام: الرؤيا المختلطة، ومالا تأويل له من الرؤى.

(٣) قرىء: ﴿وادُّكر بعد أمِهٍ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف الميم أي: بعد نسيان يقال: أمِهَ أَمْهاً إذا نُسي، قال الشاعر:

أمهت وكنت لاأنسى حديثاً كذاك الدهـر يودي بالعقول

﴿وادكر﴾ اصلها: واذدكر، فأبدلت التاء دالا، ثم ادغمت الذال في الدال فصارت: وادكر، وذلك لمناسبتين الأولى: لقرب مخرج التاء من الذال والثانية: رخاوة الدال ولينها فحصل الإدغام لذلك.

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

دأبا : أي متتابعة على عادتكم.

فذروه في سنبله : أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه.

سبع شداد : أي صعاب قاسية لما فيها من الجدب.

بما تحصنون : أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة.

يغاث الناس : أي يُغيثهم ربهم بالأمطار وجريان النيل.

وفيه يعصرون : أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قال تزرعون﴾ إلى آخره هو جواب يوسف للذي استفتاه أي طلب منه تعبير رؤيا الملك قال له في بيان تأويل الرؤيا تزرعون بمعنى ازرعوا سبع سنين دأباً أي[1] متتالية كعادتكم في الزرع كل سنة وهي تأويل السبع البقرات السمان، فما حصدتم من زروع فذروه في سنبله أي اتركوه بدون درس حتى لا يفسد[2] إلا قليلا مما تأكلون أي فادرسوه لذلك. ثم يأتي بعد ذلك أي من بعد المخصبات سبع[3] شداد أي مجدبات صعاب وهي

(١) ﴿دأبا﴾: أي: متتالية متتابعة وهي مصدر على غير معناه لأنّ معنى تزرعون تدأبون كعادتكم في الزراعة سبع سنين. وقرىء دأباً بسكون الهمزة وأصل الدأب: العادة، ومنه قول الشاعر:

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

(٢) أي: بأكل السوس له.

(٣) هذه الآية دليل على مشروعية المصالح الشرعية المرسلة، التي هي حفظ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكل ما تضمّن تحصيل شيء من هذه الكليات الخمس فهو مصلحة، وكل ما يُفوِّت شيئا منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشارع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية. على هذا أهل السنة والجماعة.

تأويل السبع البقرات العجاف يأكلن ما قدمتم لهن أي من الحبوب التي احتفظتم بها من السبع المخصبات يريد تأكلونه فيهن إلا قليلا مما تحصنون[1] أي تدخرونه للبذور ونحوه. ثم يأتي بعد ذلك عام فيه[2] يغاث الناس وفيه يعصرون أي يأتي من بعد السبع السنين المجدبات عام فيه يغاث الناس بالمطر وفيه يعصرون العنب والزيت وكل ما يعصر لوجود الخصب فيه. وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام الخ. هذا لم تدل عليه الرؤيا وإنما هو مما علّمه الله تعالى يوسف فأفادهم به من غير ما سألوه ذلك إحساناً منه ولحكمة عالية أرادها الله تعالى. وهو الحكيم العليم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- أرض مصر أرض فلاحة وزراعة من عهدها الأول.

٢- الاحتفاظ بالفائض في الصوامع وغيرها مبدأ اقتصادي هام ومفيد.

٣- كمال يوسف في حسن تعبير الرؤى شيء عظيم.

٤- فضل يوسف عليه السلام على أهل مصر حيث أفادهم بأكثر مما سألوا.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى
بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

(١) ﴿تحصنون﴾: أي: تحبسونه وتخزنونه لتزرعوه وفي هذه دليل على رُؤيا الكافر وأنه قد يرى ما هو حق، وذلك بتدبير الله تعالى.

(٢) يقال: غوّث الرجل: إذا قال: واغوثاه، والاسم الغوث، والغواث واستغاثه فأغاثه إغاثة والاسم الغياث، والغيث: المطر.

شرح الكلمات:

وقال الملك ائتوني به : أي بيوسف.
فلما جاءه الرسول : أي مبعوث الملك.
ارجع إلى ربّك : أي سيدك.
ما بال النسوة : ما حالهن.
ما خطبكن : ما شأنكن.
حاش لله : أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز أن يخلق بشراً عفيفا.
حصحص الحق : وضح وظهر الحق.

معنى الآيات:

إن رؤيا الملك كانت تدبيرا من الله تعالى لإخراج يوسف من السجن إنه بعد أن رآى الملك الرؤيا وعجز رجاله عن تعبيرها وتذكّر أحد صاحبي السجن ماوصّاه به يوسف، وطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف في السجن ليستفتيه في الرؤيا وأرسلوه واستفتاه فأفتاه وذهب به إلى الملك فأعجبه التعبير وعرف مدلوله أمر بإحضار يوسف لإكرامه لما ظهر له من العلم والكمال وهو ما أخبر تعالى به في قوله ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ أي يوسف ﴿فلما جاءه الرسول﴾ أي جاء يوسف رسول الملك وهو صاحبه الذي كان معه في السجن ونجا من العقوبة وعاد إلى خدمة الملك فقال له إن الملك يدعوك فقال له عد إليه[1] واسأله ﴿ما بال النسوة[2] التي قطّعن أيديهن﴾ أي قل له يسأل عن حال النسوة اللائي قطعن أيديهن والمرأة التي اتهمتني فجمع الملك النسوة وسألهن قائلا ما خطبكن[3] إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ فأجبن قائلات حاش لله ما علمنا عليه من سوء أي نُنَزِهُ الله تعالى أن يعجز أن يخلق بشرا عفيفا مثل هذا. ما علمنا عليه من سوء.

---

(١) ابى أن يخرج إلاّ أن تصحَ براءته للملك مما قذف به وأنّ حبسه كان بلا جرم روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: ﴿إنّ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم. قال: لو لبثت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبت) وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق من ابراهيم إذ قال له: ﴿أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

(٢).ذكر النسوة جملة: حتى لا يؤذي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكراما منه وحلماً، وكمالا خلقيا وإلاّ فالمراد زليخا.

(٣) قوله ﴿ما خطبكن﴾: جرى فيه على سنّة يوسف إذ خاطب النسوة كافة ولم يفرد زليخا وهذا أيضاً من باب الستر متى أمكن ولم تحوج الحال إلى التعيين والكشف.

وهنا قالت امرأة العزيز زليخا ما اخبر تعالى به عنها ﴿الآن حصحص الحق﴾[1] أي وضح وبان وظهر ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ وليس هو الذي راودني، ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ وقوله تعالى ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾هذا إخبار عن يوسف عليه السلام فإنه قال ذلك أي امتناعي من الخروج من السجن وعدم إجابتي الملك وطلبي إليه أن يسأل عن حال النسوة حتى تم الذي تم من براءتي على لسان النسوة عامة، وامرأة العزيز خاصة حيث اعترفت قطعياً ببراءتي وقررت أنها هي التي راودتني عن نفسي فأبيت ورفضت فعلت هذا ليعلم زوجها العزيز أني لم أخنه في أهله في غيبته وأن عرضه مصان وشرفه لم يدنس لأنه ربي أحسن مثواي. وإن الله لا يهدي كيد الخائنين فلو كنت خائنا ما هداني لمثل هذا الموقف المشرف والذي أصبحت به مبرأ الساحة سليم العرض طاهر الثوب والساحة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- فضل العلم وشرفه إذ به رفع الملك يوسف إلى حضرته وهو رفيع.

٢- فضيلة الحلم والأناة وعدم التسرع في الأمور.

٣- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

٤- شرف زليخا[2] بإقرارها بذنبها رفعها مقاما ساميا وأنزلها درجة عالية فقد تصبح بعد قليل زوجة لصفي الله يوسف الصديق بن الصديق زوجة له في الدنيا وزوجة له في الآخرة وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) ﴿حصحص﴾ أي: تبيّن وظهـر، وأصله: حصص فقيل: حصحص، نحـو: كفكف في كفف، وأصـل الحصّ: استئصال الشيء من حص الشعر: إذا استأصله جزاً، قال الشعر:

قد حصّت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع

أي: النوم الخفيف، ومنه الحصّة: القطعة من الشيء، فالمعنى إذاً بانت حصة الحق من حصة الباطل.

(٢) ذهبت في التفسير مذهب إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله تعالى وكثير من علماء السلف إلى أنّ القائل: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب إلى قوله غفور رحيم) هو يوسف عليه السلام: أي: إنه لما جاء الرسول يدعوه إلى حضرة الملك أبى أن يجيب الدعوة حتى يحقق الملك في قضيته التي سجن فيها ثمّ بعد ذلك يخرج. ودعا الملك النسوة وحقق معهن وبرأن يوسف بقولهن: ما علمنا عليه من سوء، وقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين كأن سائلا قال ليوسف: لم لَم تجب الداعي؟ فأجاب: ذلك أي: فعلت ذلك ليعلم أي: العزيز: أنّي لم أخنه بالغيب، ثم قال تواضعاً: وما أبرّىء نفسي إذ همّ بضرب زليخا لما ألحت عليه وأرادت ضربه.

وذهبت إلى هذا مرجحاً له لأمرين الأول: ترجيح إمام المسفرين له والثاني: أنّى لتلك المرأة المشركة أن ترقى إلى هذا المستوى فتقول: وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي إنّ ربّي غفور رحيم. إنّ هذا الكلام لا يجري إلا على لسان الأنبياء والصالحين.

ومع هذا فمن رجّح أن يكون القول قول زليخا كابن القيم رحمه الله تعالى فلا بأس، ويجب على الجميع أن يقول الله أعلم، إذ قولنا مجرد ارتئاء رأينا، والعلم الحق لله وحده لا شريك له.